عمر الخيام

تأليف وترجمة

رباعيات

عمر ماسي الدمشقي

طبع بمطبعة المكتبة العربية

لصاحبها

أحمد وإبراهيم العربي

١٩٣٩

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

اسم کتاب عمر الخیام
مؤلف و مترجم المحامی الدکتور محمد الصراف
موضوع تألیف حیات و سخنان و فلسفه و رباعیات خیام

مؤسسهٔ ۱۲۰۲

شمارهٔ دفتر
۱۰۷۵

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

مؤسسهٔ ۱۳۰۲

شمارهٔ دفتر
۱۰۷۲۵

اسم کتاب عمر الخیام

مؤلف و مترجم المحامی الدکتور محمد الصراف

موضوع تألیف حیات و سخنان و فلسفه و رباعیات خیام

عمر الخيام

عصره . سيرته . ادبه . فلسفته . رباعياته

تأليف وترجمة

المحامي

احمد حامد الصراف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بنفقة : نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية . ببغداد

مطبعة دار السلام : بغداد

١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م

اهداء الكتاب

الى السادة البهاليل ابناء عبد شمس والى رهط الجميلة التى عطفت على اهدى كتابى .

احمد حامد الصراف

شيخى بزن فاحشه گفتا مستى ،
هر لحظه بدام دگرى پابستى ؟
گفتا شيخا هر آنچه گويى هستم .
اما تو چنانچه مينمائى هستى ؟

قال شيخ لفاحشة : انت سكرى وفى كل لحظة متعلقة بشخص . فقالت ايها الشيخ ان الذى قلته فى صحيح . لكنك أأنت انت كما تظهر للناس ؟

مقدمة المؤلف

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيّام هو احد النابغين فى الشرق ، ولد فى نيسابور فى اواسط القرن الخامس هـ وتوفى فيها فى اوائل القرن السادس هـ وكان رجلاً ذكى الفؤاد ، حاد الذهن ، عصبى المزاج ، متشائماً ، يحمل بين جنبيه نفساً ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم ، وقددرس العلوم الشائعة فى عصره فاتقنها ، وبرز بالفلسفة والفلك ، والرياضيات ، والطبيعيات ، وقدالف رسائل وكتباً جليلة فى مختلف العلوم دلت على صفاء ذهن ، وسعة اطلاع ، ومع انه كان نابغة المفكرين فى عصره ، مقرباً من الملوك محترماً من الامرآء فانه لم يشتهر اشتهاراً متناسباً مع مكانته العالية كأشتهاره بعدوفاته خصوصاً فى القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الاخص . وعلة اشتهاره هى رباعياته التى اختفت اجيالاً ثم طلعت اخيراً كما تطلع الشمس من وراء السحب ، وذلك ان الشاعر الأنكليزى المبدع « فتيز جرالد » كان اول من لفت انظار الغربيين اليها فنقلها الى الانكليزية باسلوب رائع جميل ، وحلّت الترجمة محلاً عالياً من قلوب الانكليز والاميركان ، وبذلك ذاع صيته وشاع اسمه فى الغرب ، وكان الخيام غير معروف عندالعرب الا القليل منهم ممن اطلع على الأدب الفارسي ، واول من تصدى الى تقديمه اليهم الأديب اللبنانى وديع البستانى . ولم يكن الخيام المع عبقرية من ابى العلاء ، والمتنبى ، وابن الرومى ، وابى نؤاس ، وحافظ ، وسعدى ، والخاقانى ، والنظامى ، ولكن الخيام اسعد

منهم حظاً اذ اتيح له من اشاد بادبه والدنيا حظوظ وقسم . واذا افتخر الفرس بالخيام فللعرب حق ونصيب بالأفتخار به ، لأنه تفقه بدينهم واعتز بسلطانهم ، وتأدب بآدابهم ، وتهذب بعلومهم ، فهو ربيب عبقريتهم ، وثقافتهم وان شعره العربى وتآليفه بالعربية اسطع دليل على ما ادعيه ، ومع ذلك فقد انجبت الجزيرة افذاذاً من الشعرآء والفلاسفة والمفكرين وحسب العرب فخراً ان منهم المعرى الذى كان قدوة للخيام فى الشعر والتصوير وامامه بالفلسفة والتفكير ، وعلى كل فكلاهما مفخرة من مفاخر الشرق والمسلمين ، والعرب ، وكلاهما حكيم ، وكلاهما عظيم .

الكتاب

وهذا الكتاب الذى اقدمه الى القرآء هو مختصر كتاب وضعته فى نيف والف صفحة فى درس حياة الخيام وادبه وقدتصدى لطبع الكتاب المختصر صديقنا نعمان افندى الأعظمى صاحب المكتبة العربية الذى خدم النهضة الأدبية بطبع انفس الآثار .

ولا اكابر فادعى باننى احسنت فى البحث واجدت فى الترجمة وانما اقول هذا كل ما قدرت عليه . وقد عرضت الكتاب والترجمة على حبر العراق وعالمه الأستاذ فهمى بك المدرّس فاستحسن البحث والترجمة ، وحسبى فخراً اننى خدمت شاعر العرب وفيلسوفهم شيخ المعرة بمقارنته بالخيام ، والله يشهد اننى اديت الأمانة ، فلم اتعصب لأحد بالباطل ، وآثرت الحياد خدمة للحقيقة . ولست مؤملاً ان اسمع ثناء ومن ألّف فقد استهدف ومع ذلك فحسب المقل جهده .

مى خوردن وشاد بودن آيين منست :
فارغ بودن ز كفر ودين دين منست ؛
گفتم بعروس دهر كابين تو چيست ؟
گفتا دل خرّم تو كابين منست .

عادتى ان اشرب الحميا واسر بها . ودينى ان اهجر الكفر والدين .
قلت لعروس الدهر ما هو صداقك ؟ قالت قلبك الجذلان صداق .

وقد اسعدنى الحظ بزيارة دمشق فى صيف سنة ١٩٣٠ م فكنت طيلة بقائى فى مدينة العطر والشعر مشمولاً بعطف ابنائها الطيبين ، وقد نعمت عدة شهور فى المدينة التى انعمت عليها يد الله المحسنة بجلائل الآلاء مكرماً بين ابناء العم وقد هون على لطف اولئك المهذبين لوعة الشوق وألم الحنين الى وادى الرافدين الى الوطن الحزين . ولم اشعر فى دمشق بوحشة الغربة وهل بغداد ودمشق الا كجناحى النسر الصاعد اذا هيض احدهما خفض الآخر ، وهل ابناء بغداد الا ابناء دمشق ؟

وقد نلت الشرف العظيم بالقاء محاضرة فى المجمع العلمى يوم ٦ حزيران ١٩٣٠ فى المقارنة بين الشاعرين الحكيمين المعرى والخيام ، وانا نخور اذ كنت اول من انتصف للمعرى ، وقد تنازل اعيان المدينة الفاضلة فاستحسنوا المحاضرة ، وكان من دلائل تقديرهم ان اقترح رئيس المجمع العلمى منحى وساماً علمياً ، فانعمت الحكومة السورية علىّ به ، وانى لقاء ما لاقيته من اكرام وحفاوة من ابناء دمشق وفى مقدمتهم علامة دمشق وحبرها الجليل محمد كرد على بك رئيس المجمع العلمى ، ونائبه الجليل الأستاذ المغربى ، والألمعيان الشاعران شفيق جبرى وخليل مردم ، والكاتب العبقرى معروف الارناووط وغيرهم من الفضلاء اهديت كتابى اليهم وحسبى بذلك اظهاراً لشعورى .

القسم الاول

عصره . سيرته . ادبه . فلسفته

مدينة الاحزان

اقصد بمدينة الاحزان « كربلاء » (١) تلك المدينة الشهيرة فى التاريخ . وقد عرفت وذاع صيتها بين المسلمين بمأساتها التأريخية التى ما دون تاريخ الانسانية حادثة افجع من حادثتها المؤلمة . وقد كان من سوء حظ العرب والاسلام وقوع تلك الفاجعة التي سببت الويلات الكثيرة والمصائب الجمة لما حصل لابى عبد الله الحسين وآله من القتل والتنكيل والعذاب والاسر وقد ولدت تلك المأساة الواناً من الاحقاد والضغائن فى القلوب واوجدت الشقاق والاختلاف بين العرب والمسلمين وما زلنا نحن الاحفاد نقاسى الامرين ونعاني من نتائج هذه الوقعة ما نعاني ومن القاتلون ونحن المقتولون .

---

(١) اختلف فى لفظة « كربلاء » فقيل انها منحوتة من كلمة « كوربابل » وهى مجموعة قرى بابلية منها نينوى والغاضرية وكربله والنواويس والحائر وهو موضع القبر الى رواق البقعة الشريفة ، وقيل انها مركبة من (كرب) اى حرم و (ايل) الله ومعناها (حرم الله) وهناك اقوال كثيرة لا تخرج عن دائرة الاحتمال والظن .

وتبعد كربلاء الحالية عن بغداد ٦٤ ميلا وهى مدينة واسعة كثيرة الرياض والغياض ، تحيط بها عرائس النخيل ، وفى جنانها الوان واصناف من الفاكهة اللذيذة . وهى الى ذلك ذات شوارع مستقيمة وابنية فخمة وعمارات جميلة .

وقد اصبحت كربلاء بعد ذلك المصاب الجلل مزاراً مقدساً يؤمه المسلمون من كل صوب وحدب ولا اغالي اذا قلت انها المدينة التي يحج اليها في كل عام مائة الف فارسي ونصف هذا العدد او اكثر من الاقوام الاخرى كالهنود والافغان والتركمان وغيرهم ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغني والعامل بالمكوث فيها بضعة ايام بل فيهم من يفضل البقاء فيها اعواماً طويلة . ومنهم من ينقل اليها تجارته واعماله متخذاً اياها موطناً ثانياً له ، وعلى مرور الايام غمرتها العجمة واصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم الفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

وقد شاءت ارادة الله ان اشم نسيم الحياة في هذه المدينة التي لا ينقطع فيها النواح والبكاء والعويل لحظة واحدة فهي جديرة بان تسمى « مدينة الاحزان »

* * *

بي بي جان

ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدت انني اتكلم الفارسية العامية مثل سائر الصبية من اهل المدينة بيد اني وجدت في بيت اني عجوزاً شمطاء فارسية قد طحنتها كلاكل الايام وتركت الحوادث في وجهها غضوناً وفي سحنتها شحوباً ينم عن ألم عميق وقد أشعلت المصائب رأسها شيباً كأن بياضه صفحة قلبها الطيب الودود ووجدت كل من في البيت يحفظ لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً عظيماً فكانت

« بي بي جان » الآمرة الناهية في طول البيت وعرضه بل كانت ربة الدار وقهرمانة البيت تؤدب الصغير وترشد الكبير وتحنو على من فيه كأنهم فلذات كبدها غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي وقد حدثتني امي عنها حديثاً شجياً اقصه عليك :

كانت « بي بي جان » زوج سري فارسي من مدينة شيراز وهي من حفيدات « فتح علي شاه » الملك القاجاري وقد هجر زوجها مدينة شيراز وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها فاصبح بها مقيماً الا انه ما عتم ان ابتلي بالافيون فاجتاحت هذه الآفة امواله حتى قضت على الدانق الاخير فهجره اعوانه وتركه خدامه فاملق مثقلا بالديون الى ان هاجمته الاوجاع والامراض ثم حفر له الضنى حفرة طمه فيها فكان اثراً بعد عين فبقيت بي بي جان الاميرة البائسة وحيدة فريدة لا ركن لها تأوي اليه ، ولا والد يحميها ولا شقيق تعتمد عليه ، وقد عضها الحزن وآلمها الفقر والذل فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جرى لها — وكان خطيب المدينة وواعظها — هزته مروءته العربية فجاء اليها بمن حملها الى بيته واحضر لها الاطباء وبذل في سبيل نجاتها الجهود الى ان عادت اليها العافية وشفيت من مرضها وقوي جسدها فجعلها مربية لاولاده وبناته فكان يجلها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً متبعاً القول المأثور « ارحموا عزيز قوم ذل » وكانت بي بي جان على جانب عظيم من الفضل والادب والاخلاق . ناسكة زاهدة لبيبة فطنة . وكانت تجيد النظم والانشاء في الفارسية وتستظهر اروع الشعر واحسنه وكانت

تلم بتراجم الشعراء ونكاتهم وتحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية فتولت تعليم امي واخوانها واخواتها وقد ادركتها ولم يبق فى فمها الا ناب وقد انحنى ظهرها وضعف بصرها . وكنا اذا اجتمعنا فى غرفتها ليالى الشتاء للسمر حدثتنا حديثا لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء من الفرس والعرب الى ان يتغشانا النعاس فتصرفنا عندئذ واحداً اثر واحد وتشيعه الى مضجعه .

وقد توفاها الله فى صيف سنة ١٩١٩ فشيعناها بالعبرات والحسرات تغمدها الله برحمته .

اول عهدى بالخيام

أسطورة

فى احدى ليالى الشتاء عام ١٩١٧ م اجتمعنا فى غرفة المرحومة صغاراً وكباراً وهى تدير علينا اكواب الشاى وتسقينا من حديثها الجميل ماهو احلى من رحيق الراح ، فابتهجت النفوس وطربت الارواح ، وقد أمسكت غليونها الطويل — وما زلت محتفظاً به — تبلع دخانه وتمتصه كما يمتص الطفل ثدى امه وقالت ، وعلى فمها ابتسامة تشف عن نفس كريمة وقلب طهور ،

احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيام . قالت : —

صعد ذات يوم على قمة الجبل واخذ معه ابريقاً مترعاً بالمشعشعة وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة فحطمت ابريقه فاسكبت الخمرة

فهاجت ثائرته وغضب غضباً شديداً فخاطب الله بهذه الرباعية :

ابريق مى مرا شكستى ربي
بر من در عيش رابستى ربي
برخاك فكندى مي ظلكون مرا
خاكم بدهن مكر تومستى ربي

اى — حطمت يا الهى ابريق خمرى واوصدت باب الطرب فى وجهى ، وسكبت على الارض خمرتي اللازوردية . تراب بفمى فهل انت سكران مثلى ؟ ! !

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة ففزعت ابنته وقالت له يا ابتاه قد اسود وجهك وناولته مرآة فلما نظر الى وجهه فى المرآة والفاه اسود فاحماً بكى بكاءً شديداً وندم على ما فرط فى جنب الله وعلم ان الله قد غضب عليه فاستغفر الله عن هفوة اللسان بهذه الرباعية :

ناكرده كنه در جهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكردجون زيست بكو
من بدكنم وتوبد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتو جيست بكو

اى — يا الهى قل من الذى لم يرتكب خطاءً وكيف عاش انسان ولم يرتكب خطأً — او ذنبا — أنا اعمل سوءاً وانت تجازينى بسوء مثله اذاً ما الفرق بينى وبينك ؟

ولما انتهى من انشاد هـذا الرباعي عاد وجهه كما كان اولا.

* * *

بهذا حدثني «زن اغا» (١) عن عمر الخيام قبل اثنى عشرة سنة وانا يومئذ فتى يافع وقد بعثت في هذه الاسطورة اللذيذة رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه فطلبت اليها ان تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره مالا يتفق مع الشرع، فالححت عليها الحاحاً شديداً فأخذت تدرسني رباعياته وفي مدة لم تتجاوز الشهرين استظهرت جميع رباعياته فوقفت على دقيق معانيها وعميق مغازيها فملت اليه كل الميل وشعرت بلذة نفسية من دراسة شعره وفي سنة ١٩٢١م فاتحني صديقي الشاعر المبدع السيد محمد الهاشمي بترجمة الرباعيات فترجمت له مايقرب من ٣٠٠ رباعية وقد عبها في قوالب عربية نفيسة مع المحافظة على الروعة والجلال والانسجام غير اننا لم نوفق لطبع الكتاب فانفرد كل بما لديه فاخذت يومئذ ادرس ادب الخيام وحياته على الطريقة العصرية فانتجت هذا الكتاب الذي اقدمه الى قارئيه بيد مرتعشه بهزها الحياء والخجل.

(١) وكان هذا اسمها

من هو عمر الخيام؟

الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه

من اقدم الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه كتاب «جهار مقاله — اربع مقالات» لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ وقد قيل له ان استاذه توفي منذ اربع سنوات.

— ١ —

النظامي

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي افردها لاخبار الفلكيين مانرجمته (١):—

في سنة ٥٠٦ هـ في مدينة «بلخ» وفي صرح «امير بوسعد جره» حظيت بخدمة الاستاذ عمر الخيام والامام المظفر الاسفزاري (٢) وفي

(١) جهار مقاله ص ٦٢ — ٦٤

(٢) هو الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزاري كان معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الاثقال والحيل وكان مزوراً بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيامي وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والآثار العلوية وغير ذلك (تاريخ حكماء الاسلام في خزانة المجمع العلمي العربي في دمشق)

اثناء الحديث سمعت حجة الحق اى ـ عمر الخيام ـ ؛ يقول انى اذا مت فان قبرى سيكون فى مكان تهب عليه نسائم الشمال وينتثر عليه الزهر والورد .

وقد تملكنى العجب من قوله لانى كنت اعلم ان خياماً لا يتكلم الا عن رو ية وفى سنة ٥٣٠ ﻫ دخلت نيسابور فبلغنى ان الـــتراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلى يتيما . ولما كان له حق التعليم ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ومعى رجل ليدلنى على قبره فاخذني الرجل الى مزار (حيره) ولما وصلنا التفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد احاطت بقبره اشجار المشمش المنورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى اخفى قبره وقد ذكرت ماقاله لى فى بلخ فبكيت ولم اجد فى هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه .

— ٢ —

البيهقى

هو الشيخ الامام ظهـــير الدين ابو الحسن بن الامام ابي القاسم البيهقى (١) المتوفى فى حدود ٥٧٠ هجرية فقد ذكر فى كتابه (حكماء الاسلام) (٢) مانصه : —

(١) بيهق بلدة من نواحى نيسابور

(٢) ظفر بهذا الكتاب الجليل علامة دمشق الاستاذ الكبير السيد محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق فى احدى مكتبات اوربا الكبرى فصوره واهداه الى المجمع واضاف بذلك حسنة اخرى الى حسناته الجمة ادام الله حياته .

ولقد دخلت على الامام — اى عمر الخيام — فى خدمة والدى فسألنى معنى هذا البيت فى الحماسة :

ولا يرعون ا لحناف الهوينى اذا حلوا ولا ارض الهدون

فقلت له: الهوينى اسم تصغير كالثريا والحميا ومعناه أنهم من عزهم وجرأتهم لا يرعون النواحى التى اباحتها المسالمة ووطأتها المهادنة ولكن النواحى المتحاماة .

ثم سألنى عن أنواع الخطوط القوسية. فقلت : أنواع الخطوط القوسية اربعة منها محيط دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة . فقال لوالدى : « شنشنة أعرفها من أخزم » !

وحكى لى ختنه الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل فى كتاب (الشفاء) ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لى : اطلب الاصحاب لانى اريد ان اوصى . ولما اجتمعوا طفق يصلى وأعرض عن غيره ، ولما سجد كان يقول فى سجوده « اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى فان معرفتى اياك وسيلتى اليك » ثم قضى نحبه . وكان آخر نظمه هذا الرباعى :

سير آمدم اى خداى از هستى خويش
از تنك دلى واز تهى دستى خويش
از نيست جو هست ميكنى بيرون آر
زين نيستيم بحرمت هستى خويش (١)

(١) لم يذكر البيهقى هذا الرباعى فى كتابه « حكماء الاسلام » وانما ذكره

مللت يا إلهي لمى وجودي ومن ضيق صدرني وفراغ يدي يا من يجعل من العدم وجوداً اخرجني من عدمي بحرمة وجودك :

— ٣ —

خاقاني

وبعد جهار مقاله ورد اسمه في اشعار خاقاني الشيرواني الذي توفي سنة ٥٩٥ هـ فقد قال في بعض قصائده

زان عقل بدو گفته كه اى عمر عثمان
هم عمر خيامي وهم عمر خطاب

— ٤ —

الرازي

وجاء ذكره في كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين ابي بكر

مواضع حواشي جهار مقاله راجع ص ١٢٨ — ١٣٩ وفي رواية اخرى انه انشد هذا الرباعي ومات

يا رب خردم درخور اسباب تونيست
واندیشهٔ من بجز مناجات تونيست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تونيست

يا ربي ان عقلي قاصر عن معرفة اسبابك وما تفكيري الا مناجاة لك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك

ذكر هذه الرواية حسين دانش في كتابه (سر امدان سخن) ص ١٨٢ نقلا عن كتاب (نزهة الارواح) للشهرزوري .

الرازي سنة ٦٢٠ هـ ما ترجمته : « وما الحكمة في جعل هذه الروح العلوية النورانية في قالب سفلي أظلم متخذ من التراب ؟ ثم ما السبب في التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما ؟ لم تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب في نشر جسد الانسان في المحشر مرة اخرى ؟

اجل ، ان الذي خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن — علم ان ثمر النظر والقدم هو الايمان والعرفان .

ان الفيلسوف الدهري الطبيعي محروم هذين المقامين حتى ان احد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قد تاه في بيداء الضلال بقوله :

در دائرهٔ كامدن و رفتن ماست
آنرا نه بدايت نه نهايت پيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن از كجا و رفتن بكجاست

ان الدائرة التي فيها مجيء وذهاب ليست بذات بداية ونهاية ، لا احد يستطيع ان يقول من اين هذا المجيء والى اين هذا الذهاب .

— ٥ —

الشهرزوري

وبلي هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام في

كتابه « نزهة الارواح وروضة الافراح » الذى الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ هـ (١)

فقال : عمر الخيام نيشابورى الا ثار والميلاد كان تلواني على ابن سينا فى اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن . تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت، وله ضنة بالتصنيف، والتعليم وله مختصر فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف ، وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل الامام عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالى وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء فى آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجود اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً . فقال الغزالى « كثر الله فى العلماء مثلك ، اجعلنى من بعض اهلك وارض عنى ، فاني ما ظننت احداً من القراء فى الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء » وأما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها .

ودخل حجة الاسلام الغزالى عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء ، فطول الخيامي الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا ، وضن بالخوض فى محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالى: جاء الحق

(١) بروفسور ساخاو فى مقدمة الاثار الباقية لابى الريحان البيرونى ص ٥٦

وزهق الباطل . وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .

ودخل على السلطان سنجر وهو صبى (١) وقد اصابه جدرى فلما خرج ساله الوزير كيف داويته وباى شيء عالجته ؟ فقال عمر : الصبي مخوف . فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان ، فلما شفى السلطان أبغضه .

وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب ، ولما صلى العشاء سجد وكان يقول فى سجوده « اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى وان معرفتى اياك وسيلتى اليك » ومات رحمه الله تعالى

وقد ذكر له شعراً فى العربية سنذكره فى بحث (اشعاره العربيه)

— ٦ —

ابن الاثير

وقد جاء ذكره فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المؤلف سنة ٦٢٨ هـ فقد ذكر فى ذيل حوادث سنة ٤٢٧ هـ مانصه :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار مافعله السلطان مبدأ التقاويم : وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى

(١) راجع كتاب جهار مقاله لمؤلفه تلميذ خيام (العروضى السمرقندى)

عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم (١) وخرج عليه من الاموال شيء عظيم و بقي الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ هـ فبطل بعد موته »

— ٧ —

القفطي

وممن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ قال :

« امام خراسان ، وعلامة الزمان ، يعلم علم يونان ، ويحث على طلب الواحد الديان ، بتطهير الحركات البدنية ، لتنزيه النفس الانسانية ، ويأمر بالتزام السياسة المدنية ، حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم ، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه ، في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه ، خشي على دمه ، وامسك من عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لاتقية ، وابدى اسراراً من السرار غير نقية ، ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم ، فسد دونهم الباب سد النادم لاسد الندم ، ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ، و يكتم اسراره ولابد ان تبدو ، وكان عديم القرين في علم النجوم ، والحكمة ، وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق

(١) قال مؤلف « سرامدان سخن » ان الذين عهد اليهم بناء الرصد كانوا ثمانية من الفلكيين ومنهم عمر الخيام ولم يذكر المصدر الذي نقل منه هذا الخبر

العصمة ، و له شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ، و تكدر عرق قصده كدر خافيه . فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يازماني موعدي اومواعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان	تعيد الى نحس جميع المساعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما	تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى مادنت دنياك كانت بعيدة	فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعد (١)

— ٨ —

القزويني

وممن ذكره من المؤرخين زكريا بن محمد بن محمود القزويني صاحب كتاب آثار البلاد واخبار العباد الذي الفه سنة ٦٧٤ هـ قال في بحثه عن نيشابور « ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفاً بجميع انواع الحكمة سيما النوع الرياضي وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي . سلم اليه مالاً كثيراً ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك . وحكي انه نزل ببعض الربط فوجد اهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها .

(١) راجع اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبع ليبسيك ص ٢٤٣—٢٤٤

وحكى ان بعض الفقهاء كان يمشي اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فاذا حضر عنـــد الناس ذكره بالسوء. فأمر عمر باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ فى البوقات فجاء الناس من كل صوب. فقال عمر: يا اهل نيشابور! هذا عالمكم يأتيني كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ منى العلم ويذكرني عندكم بما تعلمون فان كنت انا كما يقول فلأى شئ يأخذ علمى والا فلأى شئ يذكر الاستاذ بسوء». ؟ (١)

— ٩ —

رشيد الدين

ومن الذين ذكروه رشيد الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ صاحب كتاب جامع التواريخ قال ما ترجمته:

ان اسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا فى مدرسة واحدة وكان بينهم صفاء واخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين ابناء المدارس حتى وصلت الصداقة الى اوجها واتفقوا على الاخاء والمحبة ثم اتفقوا على ان من ينال منهم رتبة علمية يساعد الاخرين وبحسب الاتفاق اتفق ان وزر نظام الملك وزيرا كما هو مذكور فى تاريخ السلجوق فذهب اليه عمر الخيـــام وذكره بالعهود والمواثيق فى ايام الصبا. فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له: وليتك نيسابور ونواحيها!

(١) اثار البلاد واخبار العباد طبع ووستفليه ص ٢١٨

وكان عمر حكيما عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال: «ليس لى طاقة بالسياسة وأمر العوام ونهيهم فأعطنى راتباً شهرياً بحسب الوظيفة». فأعطاه نظام الملك عشرة آلاف دينار فى السنة من دخل نيسابور المحروســة بدون نقص ولا انقطـــاع ..... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الرى الى نظام الملك ليحظى بخدمته، وقال له: «الكريم اذا وعد وفى» فقال له نظام الملك «اختر بين ولاية الرى واصفهان» وكان سيدنا ذا همة عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به وكان يتوقع ان يشاركه بالوزارة. فقال له نظام الملك: كن ملازماً لحضرة السلطان مدة.

ان نظام الملك كان يعلم ان حسن الصباح كان طالباً لأن يحل محله فى الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه، وبعد سنين استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته».

—١٠—

الابرقوهى

وممن ذكره مؤلف «فردوس التواريخ» وهو مولانا خسرو الابرقوهى سنة ٨٠٨ هـ قال ما تعريبه: — «خيام — وهو عمر بن ابراهيم الخيام — كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة، وفى علم النجوم، وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لا نظير لها، ومن اشعاره:

هر ذره كه در روى زمينى بودست
خورشيد رخى زهره جبينى بودست

گرد ازرخ نازنین بآزرم فشان
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست

ان کل ذرة علی وجه البسیطة هی وجه جمیلة حسناء، یاهذا انفض الغبار برفق فان هذا التراب کان وجه زهراء الجبین .

—١١—

حمد الله المستوفی القزوینی

وممن ذکره المؤرخ حمدالله المستوفی القزویني فی کتابه الذی أتمه فی سنة ٧٣٠ هـ (١) قال ما تعریبه :

« عمر الخیام بن ابراهیم کان متضلعاً من اکثر العلوم ولاسیما علم النجوم وبرز فیه علی من کان فی عصره، وکان من ندماء السلطان ملکشاه السلجوقی . له رسائل جیدة وشعر بدیع، ومن شعره هذه الرباعیة :

هر ذره که بر روی زمینی بوده‌است
خورشید رخی زهره جبینی بوده‌است
گرد ازرخ آستین بآزرم فشان
کان هم رخ خوب نازنینی بوده‌است

ای — ان کل ذرة علی وجه الارض هی وجه زهراء الجبین، یاهذا انفض التراب من اردانك بأدب لان ذلك ایضاً وجه جمیلة فتانة .

(١) تأریخ گزیدة نقلاعن کتاب (عمر الخیام) لرضا توفیق وحسین دانش

—١٢—

خواندمیر

قال صاحب کتاب روضة الصفا (ج ٤ ص ٦١) الشیخ میر خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة :

« قال الاستاذ نظام الملك أفاض الله علیه شآبیب الغفران : کان الشیخ موفق النیسابوری روح الله روحه من کبار علماء خراسان، وکان محترماً یتبرك به وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانین، وکان مشتهراً عنه أن من یتعلم عنده القرآن والحدیث من التلامیذ ینالون الرتب العالیة فعلی ذلك أرسلنی أبي الیه مع الفقیه عبد الصمد للتعلم، فذهبنا من طوس الی نیسابور للتشرف بباب مجلسه العظیم والتعلم، فشرعت فی الاستفادة والتعلم علیه، وکانت له عنایة بي وقد أحببته واحترمته کثیراً، وبقیت عنده أربع سنین، واتفق أن رأیت عندمقدمی الیه تلمیذین ذکیین أحدهما عمر الخیام والآخر الملعون حسن بن الصباح وکان علی جانب عظیم من الذکاء، وبعدقلیل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة فکانا یأتیان عندی بعد الدرس فنتدارس ونتذاکر فیه، وکان عمر من نیسابور، وحسن صباح الذی اسم أبیه علی من الری، وکان أبوه رجلا سیئ المذهب خبیث العقیدة، وکان یقیم فی الری، وکان اذ ذاك ابو مسلم المروزی والیاً علی الری وهو معروف بحسن العقیدة والاخلاق الفاضلة، وکان حسن یعادی عادات أهل السنة ویظهر مفاسدهم، ولکنه کان یدعی اذا حضر عند

أبي مسلم أنه بريء من بعض تلك الاراء ويحلف الايمان على ذلك . ولما كان الامـــام موفق النيسابوري امام اهل السنة والجماعة في نيسابور جاء ذلك الملعون (حسن) وشرع في الدرس عليه دافعاً لشبهة الرفض التي اتهم بها بطريقة الزهد واختار العزلة ، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل على الالحاد والاعتزال ، وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة ، وكان ينتسب الى العرب ويدعي انه من حمير من آل صباح وان والده من الكوفة أتى الى قم ومنها الى الرى ، وكان أهل خراسان — ولاسيما أهل طوس — يكذبونه في ذلك ويقولون ان ابا حسن هو أحد قروي خراسان . قال نظام الملك — فقال لنا حسن يوماً: كلنا تلاميذ للامام موفق النيسابوري وسننال الرفعة والحظوة فمن يكون منا مظهراً لهذا الفيض ، ولابد ان يكون احد منا فماذا سيعمل لاخويه الباقيين ؟ فقلنا له: ليكن كيفما تريد ! فقال: يلزم ان نتعاهد على ان كل من يصيب ذلك منا يشارك اخويه الآخرين ولا يكتفي بمنفعة نفســـه . فقلنا : نعم فليكن ذلك ، وثبتنا على تعهدنا ، فمضت السنون على هذه الحادثة وسافرت من خراسان الى ما وراء جيحون وغزنه وكابل ، وبقيت مدة في غزنه وكابل ولما عدت خولني السلطان الب ارسلان وظيفة خطيرة فجاءني عمر الخيام وقضيت ماتعهدنا به من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمته واعززته وقلت له بعد ذلك: يلزم ان يكون مثلك من اهل الكمال ملازماً لمجلس السلطان وقلت له: سأذكر فضلك للسلطان واذكر حالك وعلمك فأجعل لك مكانة في نفسه حتى تكون مثلي. فقال لي الحكيم الخيام: ان عرفك

الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك العالية التي أظهرت بها هـــذه المطالب دعتني اليك والافان رجلا ضعيفاً مثلي لا يكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب ، ولا ريب في ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لاعن تكلف وهي قليلة بالنظر الى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة علي ، ولو قضيت عمري بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التي تفضلت بها علي ، واني اتمنى ان اكون ابداً في موضع العبودية لدى مقامك ، وان ما امرت به يجب ان لاتكون عاقبته الكفران والجحود ، والان انزوى جالساً في باب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد والدعاء بالعمر الطويل لك . قال نظام الملك : وأصر الخيام على هذا الكلام لأني أعلم انه كان يتكلم بما في ضميره بدون تكلف فعينت له كل عام ١٢٠٠ دينار من املاك نيسابور ينفقها على معاشه ولكنه رجع بعد ذلك الى موطنه وأتم الفنون خصوصاً فن الهيئة ووصل في هذا الفن الى درجة رفيعة جداً . وفي عهد الملك العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو وأخذ في تدريس علم الحكمة وكان مظهر عناية السلطان ووصل مقاماً كان فيه من كبار العلماء والحكماء .

—١٣—

زوكوفسكي

ومن الوثائق التي عثر عليها المستشرق « زوكوفسكي » ماورد في تأريخ الألفي الذي كتب في سنة ١٠٠٠هـ وهو مختصر « نزهـــة الارواح » للشهرزوري ، وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهي :

ای رفته وباز آمده بل هم گشته
نـــامت زمیان نا مهاکم گشته
نا خن همه جمع آمده وسم گشته
ریش از بس کون در آمده دم گشته

یامن ذهب وجاء وصار ، بل هم کالانعام او أضل سبیلا ، لقد ضاع اسمك بین الاسماء واجتمعت أظافیرك وصارت ظلفاً وظهرت لحیتك فی عجزك وصارت ذیلا .

تحقیق ما جاء فی هذه الوثائق

الان ـ وقد انتهینا من استقصاء أهم الوثائق التأریخیة عن عمر الخیام وما جری له من الحوادث فی حیاته وما کان یعتقده فیه معاصروه ـ یقضی البحث العلمی أن ننظر فیها نظرة انتقاد عامة فهو قد لایجوز قبول هذه الوثائق برمتها، وقد یبعث الشك فی صحتها، وقد ینکر ما جاء فیها. فتحتم علینا أن ننقد هذه الوثائق من الوجهة التأریخیة ونزن ما جاءنا عنه من انباء الحوادث والوقائع حتی نستخلص الحقیقة بطریقة التعلیل المستندة الی الاستقراء قیاساً او اجتهاداً . فان ما أسند الی هذا الحکیم من غرائب الاخبار ومـــا عزی الیه من عجائب الحوادث یدفـــع الی الارتیاب فی صحتها اذ سدلت علی حیاة الرجل غلالة من الغموض والابهام . فان ما کان علیه الخیام من مکانة رفیعة ومنزلة سامیة ومن فضل وادب وتفکیر صحیح یعارض ما ورد عنه وربما کان ما یقصه علینا المؤرخون من قبیل ما یلفق عن العظماء والمفکرین من الاخبـــار التی تختلق عادة اعظاماً لاقدارهم او حطاً لها .

ولست اجدفی نفسی ـ وقد بحثت طویلا فی تحقیق هذه الوثائق ـ میلا الی الاعتقاد بسلامتها من شوائب الکذب والافتراء مستثنیاً ما کتبه عنه تلمیذه « النظامي » الذی درس علیه العلوم الشائعة فی عصره، والبیهقی الذی تحدث الیه مرة واحدة فی قضایا لغویة وفلکیة .

وبعد فلنلق نظرتنا الی هذه الوثائق ....

رواية البيهقي — أما البيهقي فقد حدثنا عن كيفية وفاة الخيام فقال: «حكى لي ختنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل «كتاب الشفاء» ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لي اطلب الاصحاب لأني أريد أن أوصي، ولما اجتمعوا طفق يصلي وأعرض عن غيره، ولما سجد كان يقول في سجوده «اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي فان معرفتي اياك وسيلتي اليك» ثم قضى نحبه.

فالذي يتأمل في هذا الخبر لا يتردد في الحكم على عدم صحته. فاننا نجهل شخصية ختنه كما نجهل اصحابه، ولم نسمع ولم نقرأ عن وفاة انسان على الصورة التي توفي فيها عمر الخيام، فاذا كان يراد بذلك انه كان من اصحاب الكرامات والمعجزات؟؟! فان الانبياء الذين يفضلون خياماً بما لهم من منزلة قدسية عند الله أولى وأجدر منه بهذه الميتة السهلة من غير معاناة ألم ومرض. واذا كان يراد بهذه الحكاية اظهار فضله والاشادة بزهده وورعه فاذا تكون قيمة هذه ازاء الشهادات القاسية التي طعنت في دينه وعقيدته؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء العجيب وبين قول الشيخ نجم الدين الرازي صاحب كتاب مرصاد العباد الذي زعم أن خياماً كان من الفلاسفة الدهريين الطبيعيين وانه قد تاه في بيداء الضلال. ؟وقول القفطي في كتابه «اخبار العلماء باخبار الحكماء»: ولما قدح اهل زمانه في دينه، وأظهروا ما أسره من مكنونه، خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لا تقية، وأبدى اسراراً من السرار غير نقية؟»

على أن رحمة الله تسع أوزار الورى ولعل الله قد غفر لخيام في آخر ساعة من حياته بعد أن قضى دهراً طويلا يدعو الناس الى معاقرة بنت الحان مسفهاً رأي من يعتقد بالحشر والنشر، ولله خوارق العادات؟!

على أنني لا أتردد في الحكم على هذه القصة المضحكة بأنها أسطورة اختلقها الناس.

رواية الشيخ ميرخوند — وأما الشيخ ميرخوند فقد نقل في كتابه (روضة الصفا) وصايا نظام الملك الوزير وفيها خبر اجتماعه في صغره مع عمر الخيام والحسن الصباح في مدرسة واحدة. وقد توقف اكثر العلماء الباحثين في قبول هذه الرواية واعتبروا هذا الخبر اسطورة، وحجتهم في ذلك أن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت أن وفاة عمر الخيام كانت سنة ٥١٧ هـ ووفاة الحسن الصباح سنة ٥١٨ هـ فعلى هذا يقتضي أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح ١٢٠ سنة وهو احتمال ضعيف وعلى هذا نفى اكثر العلماء والمشتغلين في هذا الموضوع اجتماع هؤلاء الثلاثة لتعذر المقاربة بين اعمارهم (١)

ولست اميل الى تكذيبها بتاتاً لأني لا استبعد وقوع ذلك وقد يجوز ان يعيش الانسان ١٢٠ سنة لكن الذي يدفع الباحث الى الارتياب في هذا الخبر هو شيء واحد، وهو أننا لو فرضنا أن عمر الخيام قد عاش هذا العمر اتفاقاً فهل يجوز لنا ان نفرض بأن الحسن الصباح قد عمر

(١) وممن ذكر هذا المستشرق الفرنسي لويز ماسنيون في اثناء زيارته بغداد منذ اكثر من عامين، وقد ضمنا واياه مجلس كان فيه الاستاذان الاثري وعز الدين علم الدين.

بقدر ماعمر الخيام اتفاقاً أيضاً ؟ فى هذه الحالة أقف ازاء هذه القصة موقف المتردد الذى يشك تارة ويوقن اخرى .

رواية زكريا بن محمد بن محمود القزوينى — أما زكريا القزوينى فقد روى فى كتابه آثار البلاد واخبار العباد قصة غريبة عزاها الى عمر الخيام وتتلخص فى أن أحد الفقهاء كان يقرأ عليه درساً فى الحكمة كل يوم قبل طلوع الشمس فاذا حضر عند الناس ذكر الخيام بالسوء. فأمر الخيام باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه على عادته أمرهم الخيام بضرب الطبول، فجاءته الناس ، فقال الخيام : ياأهل نيشابور هذا عالمكم يأتينى كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ عنى العلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون فسبب بذلك فضيحة للفقيه ، الى آخر القصة

هذا ماروواه القزوينى ونحن نعلم بأن عمر الخيام كان يجلس فى سرير واحد مع ملكشاه السلجوقى ، وكان ملك بخارى يعظمه كثيراً ، وقدعلم الفلسفة فى نيشابور وبنى فيها الأرصاد وكانت له منزلة رفيعة حتى ان الامام الغزالى قال له حين مواجهته له : اجعلنى من بعض اهلك فهل من المعقول أن يسف الخيام هذا الاسفاف الذى يترفع عنه الفتية لينتقم من شانئه بهذه الوسيلة المضحكة .

رواية المستشرق زوكوفسكى — وأما المستشرق زوكوفسكى فقد زعم انه عثر فى تأريخ الالفى الذى كتب فى سنة ١٠٠٠ هـ على رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ. وهذه الرواية لايعتد بها ايضاً لان من يهاجم عقيدة البعث بعد الموت فى اكثر رباعياته لايمكن أن يعتقد بمذهب التناسخ الذى هو رأى الاقوام المنحطة فى التفكير .

مقام الخيام فى الاداب الحديثة

— ١ —

الرباعيات فى اللغات الاوربية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائل فى الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء . وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما أثار فى نفوسهم الاعجاب الشديد بها، فافتتنوا بها اى افتتان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثراً ونظماً . واستظهروها وتحاوروا بها فى مجالسهم وأنديتهم والذين تولوا الاشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته واذاعة صيته هم بعض الافذاذ من المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل فى بعث اسمه واعلاء شأنه ولولا هؤلاء الفطاحل لبقى الخيام خامل الذكر مجهولا عند الناس . ولست اريد ان ابحث فى السبب الذى ساق هؤلاء الى الاعتناء والرغبة فيها وانما يكفى ان اقول ان المعانى الجليلة التى تضمنتها الرباعيات صادفت هوى فى القلوب على اختلاف المشارب ولاءمت الاذواق والطباع فليس فى الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وانما تجلى فيها الذوق الانسانى العام فكان خيام كمن ترجم عن احساس الناس وعبر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآلامهم وآمالهم وباح بممكنوناتهم ودخائلهم .

هذا هو السر الذى اورث الميل اليه فى الناس . وها نحن اولاء نذكر أسماء الرجال الذين عنوا برباعياته .

* * *

اول من عرف الخيام من الفرنجة العلامة (توماس هايد Thomas Hayde) استاذ اللغتين العربية والعبرانية فى جامعة اكسفرد ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين ، وقد بحث فى شعر عمر الخيام وترجمه سنة ١٧٠٠م . ثم جاء من بعده فزكرلد Vitzgerald وهو اول من اشاد بذكر الخيام ورفع ذكره ومقامه فنظم فلسفته بالانكليزية رباعيات ضمنها روح الرباعيات الفارسية فخلد اسمه برباعياته التي صادفت قبولا عظيما من الانكليز والاميركان وهي آية فى السلاسة والرقة والاعجاز . وترجمة فزكرلد هى المشهورة المتداولة بين الناس .

واليك نموذجاً من نظمه : —

1

Awake for Morning in
the Bowl of Night
Has flung the Stone that
quts the Stars to Flight :
And Lo! the Hunter of
the East has caught
The Sultan's Turret in a
Noose of Light.

2

Dreaming when Dawn's Left
Hand was in the Sky
I heard a Voice within the
Tavern cry .
, Awake, my Little ones,
and fil the cup
,Bef re Life,s Liquor in its
Cup be dry

3

And, as the Coek crew, th se
who stood before
The Tavern shouted-' Open
then the Door !
' You know how little
while we have to stay,
' And,once depsrted,may
return no more .

وفى سنة ١٨١٨م ترجم المستشرق النمساوى هامر برغستل Hammar Purgstal خمسا وعشرين رباعية ونشرها فى كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً أن هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامى .

وفى سنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسى Gorcin de Tassy عشر رباعيات .

وفى القرن التاسع عشر ترجم المستشرق السير كور أزلى Sir Gore Ouseley رباعيتين وكان سفيراً فى طهران وتوفى سنة ١٨٤٤م .

وفى سنة ١٨٩٨ م ترجم المستشرق أدورد هيرن الرباعيات

الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التى اعتمدهـــا فز كرلد وبين ما راعاه هذا من الاصل فى ترجمته ومالم يراعه .

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نقولا Nicolas الذى كان مستخدماً فى السفارة الفرنسية فى طهران ، وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التى طبعت فى بمبى، ومن رأيه أن الخيـام شاعر صوفى مشغول بالعشق الالهى سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازى .

وترجمها الى الانكليزية كل من وِنسفلد Whinfield وهالن Hallen وهرسن Hirson وريشرد لكلين Richard Le galliaun لكنهم لم يبلغوا الشأو الذى بلغه فزكرلد .

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيو ت . هنرى T. Henry .

ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزى الاستاذ العلامة دينسن روس Denison Ross .

ومن تتبع سيرته المستشرق والتين زوكوفسكى Valantin Zhukovski فكتب باللغة الروسية أشـياء ترجمها عن دينسن روس .

وبحث المستر براون E.G.Brown استاذ اللغتين العربية والفارسية فى كمبرج بحثاً مفيداً عن فلسفته وسيرته .

ومن بحث فى فلسفته الاستاذ جاكسن jaekson الاميركى

وبحث المستشرق برتلمى ديربلو Bar helmgd Herblot المتوفى سنة ١٦٩٥م فى كتابه «المكتبة الشرقية» عن الخيام .

* * *

الرباعيات فى اللغة العربية

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستانى فترجم اربعين رباعياً من الانكليزية من نظم الشـاعر فز كرلد . وهذا لم يترجم الرباعـيات بنصها وفصها وانما درسها درسـاً عميقاً حتى اذا تشبعت روحـه بآراء الخيـام أخرجها فى قوالب شعرية هى من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيـدة عن الاصل ولكن عليها مسحة من شاعرية خيام . والبستانى بترجمته أبعدها عن الاصل اكثر الا أن له فضل الاولية فى لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام وفى ترجمته من الرقة والاحساس والسلاسة والروعة الشعرية مايفتن اللب ويهيج الشجو . واليك نموذجاً من ترجمته :—

بت فى حانتى ضجيع المدام وقبيل انهزام جنح الظلام
راعنى هاتف دوى فى المقام
صارخاً بالنيام : حتى الى ما فارشفوها وودعوا الايامـا
قبلما تجرعون كأس حمام رأحها علقم أسيـغ شرابا

* * *

وربيع الحياة عهد الصباء وحياتى كهذه الصهباء
مرها الحلو فهى طبى ودائى

ويبلغ او نيسبور سأقضي فدعوني بعض اللبانة أقضي
ودعوني اسقى المدام دعوني قبلما يدهم المشيب الشبابا

* * *

ومقامي غصن مظل بقفر ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والاهل ديوان شعر

وحبيب يهواه قلبي المعنى بشجي يذيبني يتغنى
هكذا اسكن القفار وحيداً وارى هذه القصور خرابا

* * *

وأعقب البستاني الأديب المصري السيد محمد السباعي فأخرج الى العربية مائة رباعي ورباعياً وقد ترجمها أيضاً عن الانكليزية البعيدة عن الأصل الفارسي وهي من حيث السبك والسلاسة والرقة والروعة دون ترجمة البستاني لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع مايعافه الذوق وتمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستاني . وقد صدر النظم بهذا البيتين :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع) ولهما ثالث وهو قوله:

وانجلى عن حلل فضية نالها من ظلم الليل دنس

ولم يشأ السباعي ان يشير الى اسم ابن وكيع نحتهما وانما أغار على قوله فسباه ، وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب .

واليك الان نموذجاً من ترجمته .

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الغلس وانبرى فى الشرق رام أرسلا
اسهم الانوار فى هام القلاع

* * *

صاح بي فى النوم طيف هاتها نملأ الأكواب من ياقوتها
فبها تنضب فى كاسائها خمرة الروح وترتد الى
منبع فى الغيب مجهول البقاع

* * *

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً فى العراق الشاعر الاديب السيد محمد الهاشمي . وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها فى العربية، فجاءت الترجمة طبقاً للاصل الفارسي وآية فى الرقة والسلاسة، وهي اصح ترجمة ظهرت الى الان فى العالم العربي . ومنها:

يالهى اذا جنيت فأثمى يالهى على شبابي وجسمى
وعلى نفسى الحزينة جرمي انا جان رجوت عفواً وصفحاً
منك قد غره رضاك فجارا

* * *

جيئتى فى الدنيا اذى واضطراب وبقائي نحير وارتياب
وبقسر يكون منى ذهاب اى قصد من جيئة وبقاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالباب !

* * *

بيد مصحف وكاس بأخرى تارة بالحلال اتي ومرا
بحرام آتى فأحمل وزرا لست تحت السماء بالكافر الحـ
ـر ولا كنت كامل الاسلام

* * *

يا الهى أوعدتنى بعذاب انا منه فى حيرة واضطراب
اين قل ياربي مكان العذاب حيثما كنت لا عذاب فانى
هو ؟ اذ انتم بكل مكان

* * *

ثم أعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى فترجم الرباعيات من الاصل الفارسى رباعية برباعية نثراً ثم نظما، شيئاً بعد شئ، واختار منها مائة وثلاثين رباعية. فمن ترجمته :

أنا ان لم أحس السلافة يوماً كان للهم فى فؤادى دبيب
قيل لى تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتي فكيف أتوب

* * *

لعبوا بالتراب دهراً الى ان جبلوا منه فى النهاية طينى
أنا ما ان أكون أحسن منى فمن الكور هكذا أفرغونى

* * *

يا يد الماشطات حسناء رودا مشبهاً وجهها من الحسن زهرا
الغبار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

* * *

أما فى مصر فاول من نقلها عن الفارسية شاعر الشباب أحمد رامي، وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤ م، ولم اطلع عليها الا عام ١٩٣٠م، وقد درسها بامعان فاذا هى دون ترجمة الزهاوى والهاشمى بكثير. فمن ترجمته :

سمعت صوتاً هاتفاً فى السحر نادى من القبو غفاة البشر
هبوا املاوا كأس الطلا قبل ان تفعم كاس العمر كف القدر

* * *

أحس فى نفسى دبيب الفناء ولم أصب الا الاسى والشقاء
واحسرتا ان حان حينى ولم يتح لفكرى حل لغز القضاء

* * *

أفق وصب الخمر انعم بها واكشف خفايا النفس من حجبها
ورو اوصالى بها قبلما يصاغ دنى الخمر من تربها

* * *

— ٣ —

الرباعيات فى اللغة التركية

واول من ترجم الرباعيات الى التركية هو المرحوم المعلم فيضى ولم يترجم اكثر من مئة رباعى.

ثم أعقبه « مستجابي زاده عصمت » وهو أحد أدباء الأتراك

ثم عبدالله جودت الاديب التركى الكبير، وقد اشتهرت ترجمته اكثر من غيرها، ومن ترجمته :

باشمده يانان حسرتكه تاج ديرم
راهكده دوشوب اولمه يه معراج ديرم
هم شاعر ازاده وهم بنده حسن
به كوكلمه شاهنشه محتاج ديرم

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك وألف كتاباً بالاشتراك مع الاديب المحقق حسين دانش، وهو أنفس كتاب ظهر فى اللغة التركية فى رباعيات الخيام.

ونشر قبل مدة من الزمن الاديب حافظ عبد القادر الازميرى رسالة صغيرة تضمنت ترجمه مختصرة لعمر الخيام.

وترجم الشاعر التركى الشاب رفعت احمد بك اربعين رباعياً فوفق كثيراً

وآخر من نقلها الى التركية الاديب التركى الفاضل حسين رفعت بك وقد ترجم (١٥٨) رباعية فاجاد كل الاجادة فى النقل وحافظ على روعة الاصل الا انه استعان كثيراً بالالفاظ الفارسية وهو النقص الوحيد الذى يؤاخذ عليه. فمن ترجمته:

بر سحر وقتى ندا كلدى بزم ميكده دن
ديدى: اى رند خرابات نه دورورسك ياهو؟
قالق كه لبريز ايده لم (مى) ايله بيمانه لرى
او لمادن بوش قاقامز خاك سيهله مملو

* * *

بوكيجه ساغر كلرنك ايله ين
دلى تنشيط ايده يم تابصباح
عقل ودينى بوشايوب اوج كره
ايده يم باده بى تزويج ونكاح

— ٤ —

الرباعيات فى اللغة العبرية

وأول من نقل الرباعيات من الفارسية الى العبرية نظماً المحامي سليم افندى اسحق وهو من اصدقائنا المطلعين على دقائق الشريعة الموسوية وتأريخها وفلسفتها وقد ضرب فى اللغات الافرنجية بسهم وافر، وهو عدا ذلك شاعر باللغة العبرية. فمن ترجمته.

תוך הגלגל המצחק
בבני עולם בגלגולו
יש איש אחד ויש שני
אשר טיב לו בעמלו
זה המבין סוד הגלגל
גם ענולו גם פעלו
וזה אשר אין יודע
בין ימינו לשמאלו

כופרים יאמרו העולם חוא דבר ישו
חדש יאמר איש מאמין ודרשן
ואחר כי תחת עפר אישן
מה לי אם הוא חדש ואם ישן נושן

יום מחר אהרית עוד לא אנכי בו
ויום אתמול טרם בואי כלא
ויום שאני בקרבו
תאמרו תלוי במזלא
אם כן איך נקי בריבו
יהיה אושם בעלילה
בלי דעתו ישא חובו
ויהגה שם אב העולה

١ — فى هذا الفلك الذى يسخر بيني البشر عندما يدور يوجد واحد وثاني له ، يرى خـــيراً فى كل ما يعمله ذاك ، هو الذى يفهم سر الفلك واستدارته وصنعه وذاك الذى لايعرف مابين يمينه وشماله .

٢ — يقول الملاحدة ان العالم قـديم ، ويقول المؤمنون المتفقهون انه حديث . اما انا — بعدما ارقد تحت الثرى — فالى وله جديداً كان ام حديثاً .

٣ — ان الغد لست به بعد . ويوم امس قد مر قبل ان آتيه . وتقولون ان اليوم الذى انا فيه معلق بيد الاقدار . اذاً فلماذا يكون البرئ مجرماً من غير أن يقترف اثماً فيكون هو الضال المخطئ ؟

ثم اعقبه صديقنا الودود عزرا افندى حداد وهو أديب بالعربية وشاعر بالعبرية . وقد نقل ١٦٠ رباعية نظماً الى العبرية . فمن ترجمته :

בָּל בֹּקֶר מִיְמֵי הַבְּלִי ׳
אָשׁוּב לִבְלִי טְעֵם שִׁכּוֹר :
וּכְבוֹא עֶרֶב וְהֵן אֲצַלִי —
כּוֹסִי ׳ אֶת שִׁקָּתִי תַּעֲבֹר .

עֵת מְחַמֵּר יְצַרָתָנִי ׳
—אַלְלָה — יְדָעְתָּ עַלוּמִי .
מִמְּךָ הָיָה כָּל מַצְפּוּנִי — :
רוּחִי ׳ בְּשָׂרִי ׳ עֲצָמַי .

אִם — בֵּן אֲפוֹא ׳ לָמָּה בְיוֹם
תְּקִימֵנִי לַדִּין ׳ אֶרְשַׁע ?
לָמָּה בְעֵת מִשְׁפָּט אָיוֹם ׳
אֶמְצָא שׁוֹאָה בְלִי יֶשַׁע ?

١ — ولكم حاولت صباح كل يوم من ايامي الفانيـة ان اتوب عن شرب الخمرة ، لكننى عند المساء كنت ارى الكاس بقربي ، تحرق شفتى بخمرها المعتقة .

٢— رباه! انك يوم جبلتني من صلصال كنت عالماً بكل خفاياي، ومنك منشأ كل ما آتيه الآن سراً، منك روحي، منك لحمي، منك عظامي.

٣— فاذا كان الامر كذلك، فلماذا اذاً اعتبر مجرماً يوم اقف امامك يوم الدين؟ ولماذا تحيق بي المصائب عند محاكمتي الهائلة امام جلالتك الربانية ولا اجد حولي من يدافع عني؟

عصر الخيام

نشأ عمر الخيام في عهد الدولة السلجوقية الكبرى التي بسطت سلطانها على خراسان والري والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز وهو يقابل العصر العباسي الرابع او القرنين الاخيرين من الدولة العباسية، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ. وقد أسس هذه الدولة ركن الدين ابو طالب طغرل بك، ودامت حياتها ٩٣ سنة من سنة ٤٢٦ الى ٥٢٢ هـ وانقرضت على يد شاهات خوارزم، وقد حكمها ثمانية سلاطين. هم: طغرل بك، وألب أرسلان، وملكشاه، ومحمود، وبركياروق، وملكشاه الثاني، وابو شجاع محمد، وابو الحارث سنجر. وقد عاش الخيام في كنف هذه الدولة فقربه سلاطينها. منهم ألب أرسلان الذي أنعم عليه براتب سنوي يبلغ (١٢٠٠) مثقال من الذهب، وملكشاه الذي عهد اليه امور الرصد فرتب له الخيام «الزيج الجلالي» وكان ينزله منزلة الندماء ويجلسه معه على سرير واحد.

الوضع السياسي

كانت الخلافة في هذا العهد ضئيلة السلطان، وكان نفوذ الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم، ولم يكن لهم من الامر سوى ذكر اسمائهم على المنابر، وكانوا كالآلة الصماء في يد سلاطين آل بويه، وفي عهد عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه في بغداد وزالت هيبتهم من القلوب، وفيه

استولى السلاجقة على بغداد ، وفيه ظهرت الطائفة الباطنية فارعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصى على القلم تصويره ، وفى عهده هز التعصب الدينى اعصاب المسيحية فى اوربة فنظموا الحملات الهائلة التى أطلق عليها اسم « الحملات الصليبية » ، فعاثوا فى البلاد الاسلامية فساداً ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخربوا المدن الاستيلاء على اورشليم « القدس » . وفى عهد بسط السلاجقة سلطانهم على البلاد الاسلامية الا بعضها فكان فى الاندلس والمغرب الاقصى دولة الملثمين ، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين (٤٨٠ — ٥٠٠ هـ) ثم من بعده على الى سنة ٥٣٧ هـ

وفى افريقية من آل زيرى تميم بن المعز بن باديس الى سنة ٥٠١ هـ ، ثم يحيى بن تميم الى سنة ٥٠٩ هـ ، ثم على بن يحيى الى سنة ٥١٥ هـ .

وفى مصر من الفاطميين المستعلى ابو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٤٩٥ هـ ، ثم الامر باحكام الله على المنصور بن المستعين الى سنة ٥٢٤ هـ

وفى زبيد من الدولة النجاحية الامير بن نجاح الى سنة ٤٩٨ هـ ، ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ ، ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ هـ .

وفى صنعاء ومهرة ظهر الامير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢ هـ الى سنة ٥٠٢ هـ ، ثم عبد الله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ هـ ، ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ هـ ، ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية فى آسية كان محكوماً بدولة السلاجقة (١) .

(١) تأريخ الخضرى

يبتدىء حكم آل بويه سنة ٣٣٤ هـ وينتهى سنة ٤٤٧ هـ ، وهم من الديلم وقد حكموا البلاد ولقبوا انفسهم بالسلاطين ، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم . اغتصبوا السلطان من الخلفاء العباسيين واستولوا على شؤون الدولة ، وفى منتصف القرن الخامس الهجرى ضعف نفوذهم وتفرقت كلمتهم واضطرب امرهم فلم يكن فى وسعهم ان يحفظوا بغداد من الطوارئ وان يدفعوا عنها الملمات واتفق أن حدث يومئذ حادث كان سبباً فى زوال ملكهم وتمزيق شملهم ، وذلك ان ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى — وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة — أراد أن يزيل الخلافة عن بنى العباس فكتب الى الخليفة المستنصر العلوى بمصر ليدخل فى طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد فعلم الخليفة القائم العباسى بذلك فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده (٢) ويستغيث به فهب طغرل بك وكتب الى الامصار أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوى صاحبها ، وكاتب اصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها ، فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ، ولما وصل طغرل بك الى حاوان وانتشر اصحابه فى طريق خراسان ارسل طغرل الى الخليفة يبالغ فى اظهار العبودية والطاعة ويعد الاتراك المقيمين فى بغداد بالاحسان والجميل ، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكاتبة

(٢) الفخرى ٢١٥

طغرل بك : يبذلون له الطاعة والخطبة ، فأمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم ٤٤٧ هـ ودخلها فى الخامس والعشرين منه ، وعندئذ قبض على آخر سلاطين بنى بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهى دولة السلاجقة ، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب أرسلان ، وفى عهده أسس وزيره نظام الملك رفيق الخيام فى المدرسة وطالب العلم — المدرسة النظامية ببغداد(١) فتم بناؤها سنة ٤٥٨ ، وملكشاه الذى اتسع ملكه اتساعاً عظيما فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن اقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن ، وحملت اليه ملوك الروم الجزية . وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب ، موفور الكرامة ، فى كنف هذين السلطانين ، وكان محبوباً لديهما ، وقد أنعم عليه الاول براتب سنوى ، وكان الثانى ينزله منزلة النديم .

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التى حدثت فى عهد عمر الخيام ، وأشرنا اليها فى الكلمة السابقة ، الحروب الصليبية ، تلك الحادثة التى كان لها الاثر العظيم فى الأقطار الاسلامية . وليس من قصدنا ان نتبسط فى شرحها

(١) اقرأ تفصيل البحث فى مذهب تأريخ مساجد بغداد للالوسى والاثرى

فى كتابنا هذا فانها حوادث عصور استمر امرها من سنة ٤٩٠ الى ٦٩٠ هـ وانما نريد ان نمر بها على سبيل الاستطراد لاجل ان نتبين الوضع السياسى فى عهد الخيام .

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين فى حروب دامية دامت قرنين اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الاتابكية التى تفرعت عن السلاجقة ودول الايوبية ودول المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تعليل هذه الحملات واسبابها مما هو مذكور فى كتب التاريخ . وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين واستولوا على معظم المدن الواقعة فى الانضول والشام واسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادى الفرات سنة ٤٩٠ هـ ثم انطاكية سنة ٤٩١ هـ ، وقد ارتكب الصليبيون من الجرائم ما لا ترتكبه الوحوش الضارية و لا سيما عند فتح بيت المقدس ، وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيداً عدا الخلفاء الفاطميين الذين قصروا عن اداء هذا الواجب لاسباب ذكرها الكتبة والمؤرخون .

هذه الحوادث هى اهم الحوادث السياسية التى حدثت فى حياة عمر الخيام ، وهى تتلخص فى اربعة وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية اعنى الحشاشين . وقد اوجزنا فى بيان الثلاثة الاولى ، وبقى علينا ان نذكر شيئاً عن الباطنية الحشاشين .

* * *

الاسماعيلية — الباطنية

من أفظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين. واضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم «الحسن بن الصباح»، ولم يكن الحسن هو المؤسس الاول لهذه الطائفة الجهنمية وانما بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها بعد ان خمدت مدة قرنين، وكانت في بادئ امرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرامطة، واخذت طوراً مهما في عهد حسن المذكور، واليك تفصيل ذلك.

لما مات الامام جعفر بن محمد الصادق ادعى فريق من المسلمين بان الامام بعده اسماعيل نصاً عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة ابيه، فمنهم من يقال انه لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقرى، والفائدة بالنص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره. فالامام بعده اسماعيل محمد بن اسماعيل، هؤلاء يقال لهم المباركية، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم الباطنية (١)

القداح وقرمط

وكان لجعفر بن محمد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديصان

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٢٧—١٢٨)

المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق (١) انه هو المؤسس الاول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بذبذان وذلك في سجن والي العراق، غير ان ابن النديم يذكر في فهرسته (٢) ان الداعية الاول هو عبد الله بن ميمون المذكور وهو من اهل قوزح العباس بقرب مدينة الاهواز. والصحيح هو ماذكره ابن النديم فميمون لم يؤسس الباطنية وانما اسس الفرقة التي عرفت باسمه وهي «الميمونية» التي اظهرت اتباع ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الذي دعا الى الوهية علي ابن ابي طالب، وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين (٣) وكان عبدالله ذكي الفؤاد عالي الهمة ملحداً يطمح الى الرياسة والامرة على الناس، فبث لدعاة في انحاء البلاد سراً ولا سيما في الكوفة، فأجابه في هذا الموضع جل يعرف بحمدان بن اشعث، ويلقب بقرمط لقصر كان في متنه وساقه او لقرمطة في خطه او خطوه، وكان هذا أكاراً من اكرة سواد الكوفة في قرية يقال لها «قس بهرام»، واقام قرمط بكلواذي، ونصب له عبدالله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك في سنة ٢٦١ هـ، ثم ظهر بعده في الدعوة الى الباطنية ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح فغير

(١) ص ٢٦٦
(٢) ص ٢٦٧ خط
(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٩٤

اسم نفسه ونسبه وقال لاتباعه « انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق » ثم ظهرت فتنة بالمغرب ، وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني ، وكان من تلامذة حمدان قرمط ، ثم ظهر منهم مأمون اخو حمدان قرمط في فارس ، ودخل رجل منهم أرض الديلم يعرف بابي حاتم فاستجاب له جماعة من اهلها .

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) أن الدعوة الباطنية انتشرت اولا في زمان المأمون والمعتصم ، وان الافشين قائد جيوش المعتصم دخل في دعوتهم ، وان بابك الخرمي كان من مقتفي هذا المذهب .

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات وفعلوا اموراً تقشعر منها الابدان ، وبقوا يعيثون في الارض فساداً الى سنة ٣١٢ هـ فقد ظهر في ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن فهجم على البصرة واغتصبها ثم قطع طريق الحجاج وسبى الحرم والذراري وفي سنة ٣١٧ هـ دخل مكة وقتل من وجده في الطواف ، وقيل انه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة ، واخرج منها ٧٠٠ بكر ، اقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ، وفي سنة ٣١٨ هـ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته ، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهب ريحهم الى ان ظهر منهم الحسن الصباح الذي تعلم مع عمر الخيام ونظام الملك في نيسابور ، فكان المؤسس الثاني لهذه الطائفة التي جعلها فيما بعد دولة توارث السلطان عليها اولاده في قلعة « الموت » .

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية ، ويؤيد ذلك أنهم أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات ، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات . ظهر منهم رجل يعرف بابن أبي زكريا الطامي سنة ٣١٩ هـ فأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به ، وأمر بقطع من أطفأ ناراً بيده وبقطع لسان من اطفأها بنفخة ، فنكاح البنات والاخوات والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية . اما كونهم من الدهرية فلانهم يرفضون المعجزات ، وينكرون الوحي ، ويزعمون ان الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة ، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد بالحشر والمعاد وغير ذلك ، ومما يؤكد قولنا ما جاء في الرسالة التي بعثها عبيدالله ابن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي فقد اوصاه فيها وصية قال فيها :—

« أدع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه . وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فان أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء ، واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا ، وانا واياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء ... وعلى القول بقدم العالم لو لاما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبراً لا يعرفه ، وذكر في الكتاب ابطال القول في المعاد والعقاب . وذكر فيها ان الجنة نعيم الدنيا ، وان العذاب انما هو اشتغال

اصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد ».

وقال فيها ايضاً : « ان أهل الشرائع يعبدون الهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم ، وأكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم !! ».

وقال فيها ايضاً : « انى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، وبدعوتهم الى ابطال الشرائع ، وابطال المعاد والنشور من القبور ، وابطال الملائكة فى السماء ، وابطال الجن فى الارض ، وأوصيك بان تدعوهم الى القول بانه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم . وينبغى ان تحيط علماً بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم . !! ».

وقال فى آخر رسالته : وما العجب من شئ كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت او بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبى !! ولو علم الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبى !! ما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه ابداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار !! حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك اموالهم بقوله : « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل

الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار أوعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعبد والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج !! ».

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور : « وانت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع اصحاب النواميس فهنيئاً لكم ما نلتم من الراحة من امرهم » .

وبعد فهذه الرسالة وحدها كافية للتدليل على ان اصحاب هذه الطائفة اباحية دهرية ملحدة ، هدامة لارقى النواميس الاجتماعية التي نشرها الانبياء المصلحون .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين فى الدعاية ، لهم اساليب خاصة بهم فى أمر الدعوة فكانوا لا يفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم وانما يتدرجون معهم فيكلمون العامى بطريقة تختلف عن الطريقة التى يكلمون بها العالم جرياً على قاعدة « كلم الناس على قدر عقولهم » فأحدثوا مراتب للدعاية ، وهى التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك ، والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالايمان والعهود ، والخلع والسلخ . فيشرع الداعية فى تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل الى مرتبة الخلع والسلخ وهى الدرجة الاخيرة التى يصبح بها الباطنى ملحداً بحتاً ، وبها هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب ان يتصف بها

الداعية لبث الدعوة (١).

وقد كتب دعاتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس لتنفيذ أغراضهم وبث مبادئهم، ومنها مالايجوز الاطلاع عليه الا بعد ان تمر على الباطنى مدة لاتقل عن أربع سنين. فمن كتبهم كتاب الرحى والدولاب، وكتاب الحدود والاسناد، وكتاب اللامع، وكتاب الزاهر، وكتاب الميدان، وكتاب النيران، وكتاب الملاحم، وكتاب المقصد، ولهم البلاغات السبعة، وهى: كتاب البلاغ الاول للعامة، وكتاب البلاغ الثانى لمن هم فوق هؤلاء قليلا، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب اربع سنين، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع عن الشرائع واصحابها (٢) وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة القيروانى الى سلمان بن الحسن بن سعيد الجنابى وغيرها، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب فلم أظفر بتأليف او رسالة مما كتبوه ويظهر أن كتبهم ابيدت واحرقت بعد زوال امرهم.

هذا مجمل مافصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم، وذلك قبل ظهور الداهية الاكبر الحسن الصباح.

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٤

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٧٠ خط

دار الحكمة

فى منتصف القرن الرابع الهجرى زحف القائد الكبير جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى بجيوشه الى مصر وانتزعها من الاخشيديين واسس فيها القاهرة، وبعد بضع سنين دخلها المعز واعلن نفسه خليفة المسلمين فيها واسس فيها الدولة الفاطمية، وكان النظام الادارى فيها غريباً فى بابه اذ كانت المهمة الاولى المعنى بها هى بث الدعاية للدولة المذكورة لذلك احدثوا وظيفة «داعى الدعاة»، وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ودرجته تلى درجة قاضى القضاة، وكان الدعاة يتلقون المبادئ من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسلامية متبعين منهاجاً مسنوناً، وفى زمن الحاكم بامر الله الذى تولى الحكم بعد ابيه المعز سنة ٣٨٦ هـ نشطت الدعاية واتسعت فى البلدان اتساعا عظيما. وكان الحاكم مضطرب الرأى عصبى المزاج، شاذاً فى اطواره واخلاقه، سفاكا للدماء قتل عدداً كبيراً من اماثل اهل دولته، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه، فكان تارة يأمر بسب الصحابة، وطوراً يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر، وأمر مرة بقتل الكلاب، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذى لا قشر له والعنب، وقد لاقى النصارى واليهود منه الوان العذاب خلال حكمه. وقد وصفه ابن خلدون فى تاريخه (ج ٤ ص ٦٠) «بأنه كان مضطرباً فى الجور والعدل والاخافة والأمن والنسك والبدعة، غير أن

الذى يهمنا من سيرة الحاكم بامر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية باعداد الوسائل، تنظيم المناهج بتأسيس (دار الحكمة) فى مصر.

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هى الاسس والاوضاع التى وضعها عبدالله ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التى بثها الدعاة فى عهد الباطنية الاولى والتى ذكرت فى رسالة القيرواني الى سليمان ابن الحسن ، وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور و تمكين فكرة الالحاد فى قلوب الناس . وكانت درجات الدعاية فى دار الحكمة تسعاً وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التى كانت سبعاً فقط ، ولكن الغاية كانت واحدة وهى هدم الدين الاسلامي ليس غير .

المؤسس الثانى

هو الحسن بن الصباح الذى ولد حر الى سنة ٤٣٠ هـ وكان قد تلقى علومه على الامام موفق النيسابورى مع عمر الخيام ونظام الملك الوزير فى نيسابور ، وكان يدعى انه ينتمى الى « يوسف الحميرى » احد امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ومنها الى الرى الا ان اهالى طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده — واسمه « على » — هو من احدى قرى خراسان ، ولعل الصباح جده او لقب ابيه .

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذى تعاهدوا على انفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون

فى نيسابور ، فرحب به نظام الملك وقدمه الى السلطان ملكشاه وعينه كبير الحجاب الاان الحسن العالى الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا المنصب فقد سولت له نفسه الجشعة الايقاع بمن أنعم عليه وأكرمه فاخذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير ، واتفق ان ملكشاه طلب يوماً الى نظام الملك أن يقدم له الموازنة فاستعذره نظام الملك وطلب اليه ان يمهله سنة واحدة فلما بلغ ذلك حسن الصباح قابل الملك ووعده بانه سوف يقدم له الموازنة بعد اربعين يوماً وقد فعل ذلك وقام بما وعد به خلال الاجل المضروب ، فأحس نظام الملك بالدسائس التى يدبرها الحسن فعمد الى الحيلة للتخلص منه فأخفى اوراقاً سرية تعود الى الدولة . ولما اطلع السلطان على الاوراق وجد فيها نقصاً فوبخ حسناً ووجد عليه ، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب الى اصفهان واختفى عند رجل يسمى (ابا الفضل) وفى مدة بقائه عنده كانت تظهر عليه حالات عصبية وانفعالات نفسية وقد قال ذات يوم لابي الفضل « لو كان لى صديقان صادقان لقضيت على حكومة هذا التركي وهذا القروى » يريد بالاول الملك وبالثاني . وزيره نظام الملك ، فايقن ابو الفضل بوجود اضطراب عقلى فيه فكان يعطيه المخدرات الروحية والمشروبات المسكنة وقد مر على هذا الحديث عشرون عاماً توفى خلالها ملكشاه ومات نظام الملك بطعنة باطنى ، واشتهر امر حسن وكانت له الرياسة ، فقال لصديقه ابى الفضل فى قلعة « الموت » : من كان منا مجنوناً يا ابا الفضل ؟ أأنت ام انا ؟ من الذى كان قميناً بان يأخذ المشروبات والمخدرات التى كنت

تتفضل علي بها في اصفهان ؟ أرايت كيف نفذت فطنتي عند ماوجدت صديقين صادقين (١)

ثم هجر الحسن اصفهان وشد الرحال الى مصر فلاقى حفاوة من الخليفة المستنصر، ثم انخرط في سلك المحفل السري وتعلم المبادئ الاسماعيلية، وبعد ان تشربت روحه بهذه الافكار قفل راجعاً الى فارس واخذ يبث الدعوة في نواحي خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم فاستولى اولا على قلعة في نواحي الديلم يقال لها « الروذبار » وكانت هذه القلعة لقمة صاحب ملكشاه فاخذ من الباطنية الفاً ومئتي دينار وسلم القلعة في سنة ٤٨٣ هـ وذلك في ايام ملكشاه ثم استولى الحسن على قلعة « الموت » وتحصن بها هو واتباعه، واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١٦٨ سنة وحكمها (ثمانية) اشخاص من اولاده واحفاده.

* * *

تعاليم ابن الصباح

تتلخص تعاليم ابن الصباح فيما يلي :

(أ) — الدعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بان لها اماماً وليس لغيرهم امام

(ب) — ضرورة استعمال العقل في معرفة الله والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصادق.

(ج) — والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصادق فالاولى ترى

(١) تاريخ الاسلام للموزعي (ج ص ٣٩١)

الاستعانة في معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه، وقالت الثانية بالاخذ في كل علم من معلم وغير معلم. فالحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين.

(د) — بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أي واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائز.

(ه) — ان في العالم حقاً وباطلا وان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأي مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها.

(و) — التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً، والنبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة.

وقد منع الحسن العامة عن الخوض في المعلوم وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال (١)

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعية الجهنمية سبعاً بدلا من تسع وهي لا تختلف في الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة »

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٤٧ — ١٥٢) وقد ذكر المؤلف ان هذه الفصول كانت اعجمية فترجمها.

—الرئيس—

ويسمى السيد أو شيخ الجبل، وهو كبير الطائفة الاعلى وبيده الحل والعقد وله الامر والنهى.

— الدعاة—

وهم الكبار المقدمون ومقامهم فى ثلاث ولايات توجد فيها امنع قلاع الطائفة وهى بلاد الجبل وقهستان والشام، وهؤلاء يتلقون اوامرهم من الرئيس وينفذون اوامره السامية.

—الرسل—

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفاء مبادئ الطائفة.

—الرفاق

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادئ السرية.

— الفدائيون —

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء.

—المبتدئون —

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية.

—العامة—

وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها، وعلى العامة فى فتح القلاع ومهاجمة البلدان (١)

(١) دوزى ص ٣٩٧ ترجمة الدكتور عبد القدوس.

علمنا مما تقدم ان الدرجة العليا هى درجة الرئيس او السيد اوشيخ الجبل، والدرجة الدنيا هى درجة العامة ومنها يترقى الى درجة التلميذ ومنها الى درجة الفدائية، وفى هذه الدرجة يكون الباطني عضواً صميمياً يعتمد عليه فى ادارة شئون الطائفة ولا يرقى احدا هذه الدرجة الا اذا كان شديد البأس كثير الطاعة فاذا أنس الرئيس من احدهم استعداداً اولم ولمحة فاخرة له وناوله اثناء الطعام نباتاً مسكراً من نوع «الحشيشة» حتى اذا فعلت الحشيشة فعلها امر بنقله الى جنة غناء قد غرست على حافات جداولها اطيب الفواكه وأنضر الزهر والورد، ونصبت فى احواضها الفوارات، واقيمت فيها الرواشن والغرف الصينية، وفرشت بانفخر الديباج واثثت بالرياش النفيسة، وهناك فى تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحسان باكواب الخمر وأباريقها، ويضربن على رأسه بالالات الموسيقية ذات النغمات الشجية، ثم ينقل فوراً الى المكان الذى فيه الرئيس وعند صحوه يخبره الرئيس بانه لم يبرح مكانه وانه امر روحه ان تطوف بالفردوس فيندهش الفتى مما رآه، وعند ذلك يجعل نفسه طوع ارادة الشيخ طمعاً بالجنة ويكون بعده آلة صماء يديرها كيفما يشاء، ولكى تعرف مبلغ اطاعة الفدائي للرئيس انقل لك القصة الاتية (١): ارسل ملكشاه السلجوقى يوماً رسولا الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة وينهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والامراء، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه — والرسول

(١) نقد العلم والعلماء لابن الجوزى ص ١١٧

يشهد ذلك — اريد ان انفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها ؟ فاشرأب كل منهم لذلك، فاومأ الى شاب منهم وقال له: اقتل نفسك! فجذب سكينة وضرب بها غلصمته فخر ميتاً! وقال لآخر: ارم بنفسك من القلعة! فالقى نفسه فتمزق! ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له: اخبره ان عندي من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب!!

— النتيجة —

ولبث الحسن فى قلعة (ألموت) حتى توفى فيها سنة ٥٢٠ او ٥٢٨ هـ على رواية دوزي بعد ان حكمها (٣٥) سنة، وقد اتفق الباحثون على انه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة، عالماً فى الفلك والهندسة، متضلعاً من الاراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس، قاسى القلب دساساً فتاكاً، قد توارث الحكم على الموت ابناؤه الى سنة ٦٥٠ حيث قضى على الطائفة المذكورة هلاكو التاتارى وبها انطوت اشنع صفحة فى التاريخ الاسلامي.

* * *

وبعد فاننا لم نذكر هذه الابحاث بالاسهاب الا لاننا نبغى ان نبرهن بان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية فى عصره وان له اتصالا قويا بهم ونكاد نجزم بانه كان داعية من دعاتهم وسنوفى هذا المطلب حقه فى بحثنا عن آرائه ومعتقداته

علمنا مما تقدم بأن العصر الذى عاش فيه الخيام كان عصراً يجيش بالاحن والفتن والحروب الدموية، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون الكيان الاسلامى من جهة، والباطنيون من جهة اخرى يدبرون المكايد والدسائس لهدم الاسلام و يبثون الدعاة لنشر الالحاد بين طبقات المؤمنين، وان الكلمة العليا فيه كانت للسيف..

والان نريد ان نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم فى ذلك العصر. والذى يبحث ليسبر غور العصر الذى كان فيه الخيام يتبين ان أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هو تأسيس المدارس فى العالم الاسلامى، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ذات مناهج مقررة وانظمة مسنونة اذ كانت العناية متجهة فى هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب..

المدارس

أما فى عصر الخيام فقد كثرت المدارس وأشهرها مدرسة ابزفورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ(١)، والمدرسة البيهقية للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى، ومدرسة أخرى بناها اسماعيل الاسترابادى الصوفى الواعظ، وأخرى بنيت للاستاذ أبى اسحاق (٢) غير أنه لم يكن لهذه المدارس ماللمدارس

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٨٢)
(٢) السيوطى (ج ٢ ص ١٨٥)

النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج .

المدارس النظامية

هي المدارس العظيمة التي أسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن . وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد ، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وفتحها سنة ٤٥٩هـ ، وعين لها لمدرسين من أجلة العلماء في عصره مثل أبي اسحاق الشيرازي ، والامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل ، والامام الغزالي ، وأبي القاسم الدبوسي ، والشاشي ، والكيا هراسي ، والسهروردي ، وكمال الدين الانباري ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠،٠٠٠ دينار في السنة ، وقيل ان هذا الانفاق كان سبباً لقتله ، ولكن دوزي يرى انه قتل بطعنة باطنيّ . وقد وشى به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له « ان الاموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك يقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه في ذلك فأجابه : يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي عليّ في « من يزيد » لم أحفظ خمسة دنانير ، وأنت غلام تركي لو نودي عليك بساك تحفظ ثلاثين ديناراً ، وأنت مشتغل بلذاتك ، منهمك في شهواتك ، واكثر مايصعد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب ، اذا احتشدوا كانوا عنك بسيف طوله ذراعان ، وقوس لاينتهي مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين

يدي ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، واطلقوا ألسنتهم ، ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تحيون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون » !

مقاومة علماء المسلمين للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لمناوأة الباطنية وطعن تعاليمها واظهار سخف مبادئها وتحذير الناس من سمومها ، والباطنية لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقط وانما توسلت بالدعاية والاقناع والحجاج أيضاً ، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم وولاتهم ، لذلك كان لزاماً أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادئ بأقلامهم ، فكان القاضي أبو بكر الباقلاني أول من أشهر عليهم الحرب فألف كتاباً سماه (كشف الاسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم ، ثم تلاه أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فجادلهم مبيناً بطلان مذهبهم ، ثم أعقبه ابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، ولم يقصر في رد كيدهم الى نحورهم ، ثم جاء بعد هؤلاء حجة الاسلام أبو حامد الغزالي وكتب رسالة في (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والاسماعيلية وغيرهم من الطوائف الباطنية والبدع في الاسلام ، والرسالة محفوظة في المتحف البريطاني الآن ، وقد أطلق الرازي فخر الدين لسانه الذرب طاعناً بهم من فوق المنابر ، وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفاً على حياته(١) .

---

(١) روزي (ص ٣٩٩)

وفى الحقيقة إن أقلام هؤلاء الفطاحل قد أعانت السيف فى القضاء عليهم .

الخلاصة

تبين مما اجملناه أنه — بالرغم عن الفتن والحروب الكثيرة التى حدثت فى عصر — الخيام كان لدولة العلم رايات مرفوعة ، وللعلماء مكانة عالية فى القلوب ، وكان تهافت الناس على المدارس عظيما ، ويكفى أن نذكر للتدليل على ازدهار العلم فى العصر الخيامي أنه قد نشأ فى ذلك العصر ما ينيف على ثمانين ومئة فحل بين شاعر ، ومنشئ ، ولغوى ، ومؤرخ ومترجم للجماعات ، وجغرافى ، ومؤلف فى السير والسياسة والادارة والطب وغير ذلك من العلوم .

روح هذا العصر

قدمنا أن عمر الخيام نشأ وعاش فى عهد الدولة السلجوقية الكبرى ، وأنه حدثت فى عصره اربع وقائع كبيرة ، وهى : سقوط الدولة البوهية ، وقيام الدولة السلجوقية ، ونشوب الحروب الصليبية ، وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل أوسع نطاقاً وأرهب شأناً .

هذا من الناحية السياسية ، وأما الناحية العلمية فان عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا الى ذلك فى بحثنا عن المدارس النظامية التى أنشأها نظام الملك الوزير الشهير .

بقى علينا أن نعرف الروح السائد فى ذلك العصر لان فى اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير فى ذلك العصر . وفى الحق اننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك ما اذا كان الخيام يمثل عصره أو لا ، وهل فى الامكان اعتباره نموذجاً من التفكير السائد يومئذ ، أو هل كان لعصر الخيام من النبوغ الكافى ليوجد شخصاً مثله أو ، لا حتى لكأن خياماً شاذ فى عصره لا معرفة له به ولا قرابة بينهما فى الروح والعلم والتفكير كأن يد الاقدار قذفته خطأ فى هذا العصر !!

لاشك ان من الصعب جداً معرفة الروح السائد والوقوف على اسلوب التفكير على اختلاف ضروبه ، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية ، وبالجملة معرفة الصبغة التى اصطبغ بها ذلك العصر ، لان ذلك — فضلا عن افتقاره الى درس طويل ،

وبحث عميق — تحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط ، وقد لا تظهر من هذا الدرس الذى يقتضى وقتاً طويلا وجهوداً عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة ، وقد لا يهتدى الباحث فى بحثه وتدقيقه فى صفحات هذا العصر الى شئ من الحوادث والوقائع التى يصح ان تكون مقياساً لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث فى هذه الحالة ان يفتش فى بطون المؤلفات عن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمكن ان يعول عليه فى اظهار الصورة الحقيقية للعصر الذى يدرسه و يبحث فى الكيفية التى اوجدته ، والظروف التى احاطت به !

ومع ذلك فلست واثقاً بان ايراد الامثال والشواهد تكفى لتعريف الصبغة الغالبة فى ذلك العصر اذ قد تكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الاراء المنحولة التى تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب ، أو من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التى تتداولها الافواه اما للاشادة بفضيلة شخص ، واما للحط من كرامته وشرفه ، وهى عوائد متعارفة فى كل زمان وكل مكان .

ومن الواضح أن الخرافات والاساطير تكاثر وتعيش طويلا فى المدن التى فيها مزارات ومشاهد دينية تؤمها الناس فى اوقات معلومة وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة وظروفها ضعيفة فهى لذلك لا تكون عقيدة لدى الامم لانها مشيدة على أساس التخيل والوهم ، فلا يجوز للباحث والمؤرخ ان يعتدبها

أو يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور ، ويجب ان لا يبرح عن بالنا ان قابلية التخيل فى الانسان شديدة وان الانسان ميال بطبعه الى المبالغة فان حديثاً يتداولونه عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها .

* * *

جئت بهذه الكلمة تبرئة لاستغرابى جرأة الاديب المصرى السيد زكى مبارك اذ أصدر حكمه على العصر الذى ابحث فيه الآن بأنه عصر تغلب عليه صبغة السذاجة (١) وقد استدل على هذه السذاجة التى يتخيلها بالقصة التى ذكرها المؤرخ خواندمير مؤلف كتاب روضة الصفا ، وهى من وصايا الوزير نظام الملك ، وتتلخص فى « أن والده كان قد أرسله مع الفقيه عبد الصمد الى نيسابور ليقرأ على الامام موفق النيسابورى وكان السائد فى عقيدة اهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها و بلغ الغاية وانساق الى العز والجاه والنعمة والثراء ... الى آخر القصة ؟!

و بعد ان اورد القصة برمتها علق عليها بأن « الذى يعينه من هذه الحكاية هو ان يكون السائد فى عقيدة اهل ذلك الزمان أن من قرأ العلوم العربية على الامام الموفق نبغ فيها وانساق الى العز والجاه وتلك

(١) الف هذا الاديب كتابا بعنوان « الاخلاق عند الغزالى وعصر الغزالى » وهو عصر الخيام وقد ذكرنا اجتماعهما وتحاورهما فى قضايا علمية

خرافة لايسيغها غير ضعاف العقول وصغار الاحلام ..»

ولو تروى قليلا وبحث فى صحة هذه الوثيقة وعدم صحتها لتبين أن هذه القصة قصة مهلهلة الجانب هزيلة الاركان قد نالت من الباحثين نقداً ومن العلماء طعناً وعدم اعتماد وثقة لأن نظام الملك الذى ذكر فى هذه الوصايا خبر اجتماعه فى نيسابور مع عمر الخيام والحسن الصباح وتلقيه العلوم فى مدرسة الموفق النيسابورى ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت بأن الخيام قد توفى على المشهور سنة ٥١٧ هـ والحسن بن الصباح توفى سنة ٥١٨ هـ وعلى هذا يقتضى ان يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح مائة سنة او يزيد . لذلك اعتبر الباحثون هذه الوثيقة ضعيفة مشكوكا فى صحتها ، وقد فات المؤلف الاديب ان الوثائق المشكوك فى صحتها لايصح ان يحتج بها او يعتمد عليها لان الشك اذا سرى فى جزء الشئ سرى فى كله لامحالة !

وان اعجب فعجبى من الاساتذة الفطاحل الذين منحوا هذا الاديب لقب « الدكتوراه » من غير مناقشته فى هذه الوثيقة !

ولنفرض ان هذه الوثيقة صحيحة لاشائبة فيها فهل يجوز ياترى ان تعتبر كافية للاحتجاج بها على الصبغة الغالبة فى ذلك العصر ؟ أعتقد انه لايجوز ذلك ابداً لان مثل هذه الاساطير والخرافات موجودة فى كل زمان ومكان . واذا كان الامر كذلك — وهو الواقع — فلا يسوغ انا المنطق أن نحكم على كل العصور التى مرت بالبشر منذ فجر التأريخ الى يوم الناس هذا بالسذاجة والبساطة !

وأعود فاقول ان من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذى وجد فيه عمر الخيام فان من الصعوبة بمكان ان نصور اليوم حقيقة الروح السائد فى العصر الذى نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذى تعاقبت عليه تسعة عصور ؟

واذا كان لابد من ذلك فانى أعتقد أنه يجب على الباحث فى هذه الحالة ان ينعم النظر و يتأمل ملياً فى احوال الطبقات الثلاث التى يتألف منها الشعب ، وهم :

١ — الرعية اى جمهور الناس

٢ — الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء أرباب الحل والعقد

٣ — رجال الدين

أما أمر الرعية وما كانت تشعر به فشئ غامض ، فليس فى ايدى الناس وثائق ومستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور فى ذلك العصر ، والمؤرخون فى ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب وكيل المديح للملوك والامراء جزافاً ، تزلفاً اليهم وتقرباً منهم ، هذا ما كان من امر الرعية !

وأما الحكام فى عصر الخيام ، وهم الملوك والامراء والوزراء اولو الامر والنهى والحل والعقد ، فان التاريخ — والعهدة عليه — يقص علينا اخباراً سارة عنهم ، ويحدثنا حديثاً قد اكسبهم مجداً وفخراً ! يقول التأريخ : انهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا

عليهم بجلائل الالاء ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس والمراصد وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التي نالها عمر الخيام من ملوك السلاجقة وما ذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا علمه وأدبه .

وأما رجال الدين — وهم الذين يفرض عليهم الواجب الديني ان يكونوا قدوة صالحة ومثلا اعلى من حيث النزاهة والفضيلة والاداب ليقتفي اثرهم الناس — فانا نرى أكثرهم في كل عصر وفي كل جيل حملة على الدين وادعياء فيه فكانوا بلية على الناس وقوة هائلة لتأييد الاستبداد ومقاومة الحرية الفكرية ومناوأة الاحرار ومعارضة التجديد والاصلاح وسيفاً مسلولا يهدد الارواح وحرباً عواناً على كل حر يستعمل حقه الطبيعي في ابداء رأيه وابراز فكرته ، وقد لعب رجال الدين — واقصد المزيفين الكذابين منهم طبعاً لا المصلحين الذين فدوا أرواحهم لخير الناس — لعباً عجيباً في الحياة الاجتماعية والسياسية . فقد ادخلوا أنوفهم فيما لا يجوز ادخاله وهددوا كل من لا ينزل عند رغائبهم بالطعن والتكفير ، وكم ازهقوا ارواحا بريئة ، وسفكوا دماء زكية بقصاصة تسمى في عرفهم « فتوى » ! فهذه العصبة التي يتبرأ منها الدين — وهي ملتصقة به — على جانب عظيم من الحسد والنفاق والشقاق يأكل بعضهم لحم بعض ميتاً ، واذا لمع منهم نابغ وظهرت مواهبه وبرزت اخلاقه واقترن اسمه بالذكر الحسن حاربوه بالدس ، ورصموه بكل ماهو شنيع ، والصقوا به

الرذائل والموبقات ! والذي ينعم النظر في حالة هذا النوع من رجال الدين في عصر الخيام يجدهم على جانب عظيم من سوء الخلق وفساد السجية والحسد والنفاق ، وها أنا ذا اسوق شاهداً يدل على ماكان عليه هؤلاء من النقص في التهذيب وقلة المروءة .

كان شيخ الاسلام عبدالله الانصاري ، وهو الامام ابو اسماعيل عبدالله بن ابي منصور محمد بن ابي معاذ علي بن محمد بن احمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مقرا الخزرجي الانصاري الهروي الذي يتصل نسبه بأبي ايوب الانصاري ، من اجلة العلماء والمحدثين في عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة في زمانه غير انه كان حنبلياً ميالا للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين في عصره ووجدوا عليه وارادوا له الكيد والوقيعة به واتفق ان قدم هراة السلطان الب ارسلان السلجوقي والوزير نظام الملك فاجتمع رجال الدين في هراة واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضراً ، انبرى له احدهم وقال ترى هل يسمح لي الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل مابدالك !

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعري ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك أشعري المذهب أطرق ، وبعد برهة قال : يا شيخ اجب الرجل ، فقال شيخ الاسلام : « انا لا اعرف الاشعري ، غير اني العن كل من لا يعتقد بان الله في السماء .

وفى رواية انه لما جاء السلطان ألب ارسلان الى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا فى ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان على شيخ الاسلام عبد الله الانصارى ، فقر رأيهم على أن يصنعوا صنما صغيراً يخبئونه فى محراب الامام ، وفعلوا ذلك ، ولما حضروا بين يدى السلطان اكثروا الشكوى من الامام وقالوا له : انه قائل بالتجسيم واذا اراد السلطان ان يوقن بصدق مدعانا فليأمر بارسال من يأتي اليه بالصنم من سجد الامام! فغضب السلطان وارسل فى الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم ، ثم أمر باحضار شيخ الاسلام ، فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد مشايخ البلد جالسين ووجد صنما صغيراً امام السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والالم !

فقال السلطان للشيخ : ماهذا ؟

قال الشيخ : هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال !

قال السلطان : اني لا اسألك عن ذلك ، انما تزعم هذه الجماعة بانك من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ : «سبحانك هذا بهتان عظيم» وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فاعتقد السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه، ولما تحقق الامر علم انها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين !

قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين فى عصر الخيام كان سيئاً فاسداً

من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا أمر حادثتين وقعتا فى عصره ، والذى ينعم النظر فى رباعيات الخيام يجد الخيام متبرماً متذمراً منهم وقد حمل عليهم فى رباعياته مشنعاً بهم ، من ذلك قوله :

ای مفتیٔ شهر از تویر کار تریم
با این همه مستی زتو هشیار تریم
ماخون رزان خوریم وتوخون یکسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

نحن يا مفتى المدينة أحسن منك عملا ، ومع كثرة سكرنا هذا فانا أصحى منك ، نحن نشرب دم ابنة العنقود ، و أنت تشرب دم الناس ، فانصف فاينا شارب الدماء اى فتا كا

شیخی بزن فاحشه کفتا مستی؟
هر لحظه بدام دیکری با بستی
کفتا شیخا هرآنجه کوئی هستم
اما توجنا نجه مینمائی هستی؟

قال شيخ لومس انت سكرى ، وفى كل ساعة مربوطة بحبيب ، قالت يا شيخ كلما قلته فىّ فهو صحيح لكن هل انت انت كما تظهر للناس .

* * *

و يظهر انه كان للتصوف شأن لا يستهان به ، وكان لارباب هذه الطريقة — الدخيلة فى الاسلام وهو منها براء — سيطرة هائلة على الشعب الامر الذى حدا بالامام ابى حامد الغزالى ، وهو من معاصرى

عمر الخيام ، ان يشد عليهم وان يطعن فى سلوكهم الذى دل فى كل العصور على تقى مزيف وورع كاذب ، واليك ما كتبه الامام عنهم :

« وفرقة منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ الزمان كافة الا من عصمه الله عن الخطأ فى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه ، فاشتغلوا بالسخافات والشطح وتاقين كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للاغراب ، وطائفة شغلوا بعبارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها واكثر همهم الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق ، وغرضهم ان تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل »(١)

* * *

هذا ما أردنا ان نأتي به لنلم بحالة العصر الذى وجد فيه عمر الخيام وقد فهمنا مما تقدم ان امر الرعية كان مجهولا ، وان السلاطين والامراء كانوا يناصرون العلم والعلماء ، وان حالة رجال الدين كانت سيئة ، وان عمر الخيام والامام الغزالى قد وصفا هذه الطبقة وصفاً منطبقاً على الحقيقة والواقع .

(١) احياء العلوم

شعراء عصره

الابيوردى

هو محمد بن احمد الاموى الابيوردى احد تلامذة امام الحرمين ، وكان الابيوردى يطمح الى الخلافة ويرى نفسه قميناً بها وانه احق بها من سواه ، وقد جر له هذا الطموح شقاء كثيراً أجبره على مغادرة بغداد فشد الرحال الى همذان ، فدرس والف ، ثم مات مسموماً فيها سنة ٥٠٧هـ وكان الابيوردى قديراً على القريض . ومن شعره الذى شاع على الافواه قوله :

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان هون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

صردر

الرئيس ابو منصور على بن حسن الكاتب الشاعر المعروف بصردر توفى سنة ٤٦٥هـ ، وكان شاعراً جيد السبك حسن المعنى ، وفى شعره طلاوة وجمال ، ومن شعره فى جارية سوداء (١)

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان اوقاتها مؤرخات بليالها

(١) ابن خلكان ٢٥٩ ج ١

الطغرائي

ابو اسماعيل الحسين بن علي المنشئ المعروف بالطغرائي نسبة الى مهنته في اوائل حياته ، والطغرى ، او الطرة ، هي نعوت السلطان الذي صدر الكتاب عنه ، وتكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ . وكان بارعاً في الانشاء حتى سمي فخر الكتاب ، ونعت بالاستاذ ، ولقب بالمنشئ ، استوزره السلطان مسعود السلجوقي في الموصل وله ديوان شعر في مدح السلطان سعيد بن ملكشاه ونظام الملك الوزير واشتهر الطغرائي بقصيدته المشهورة :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وذكر ان له عدة مؤلفات في الكيمياء القديمة . وتوفي سنة ٥١٣ هـ .

الباخرزي

ابو الحسن علي بن الحسن من باخرز بين نيشابور وهراة اشتغل في شبابه في الفقه الشافعي ، ثم اشتغل بالكتابة ، ثم اختلف الى ديوان الرسائل وتقلب في المناصب ، وسافر واغترب ، ثم هوى الشعر وغلب ادبه على فقهه ، فنظم الشعر ، وهو ليس من طبقة الفحول المبرزين وأثر التكلف ظاهر على شعره ، وله كتاب في تراجم شعراء عصره سماه دمية القصر جعله ذيلا ليتيمة الدهر للثعالبي وقد اهمل فيه تاريخ المواليد والوفيات والاحوال وعنى برصف الالفاظ (١) .

(١) وقد طبع هذا الكتاب حديثا في حلب بعناية الاستاذ الطباخ

معاصروه من شعراء الفرس

مسعود سعد سلمان

اصله من همدان ، ومنشؤه في جرجان ، ظهر في زمان السلطان ابراهيم الغزنوي واتهم بجريمة المؤامرة عليه فاوقفه وحبسه في قصر منيع يسمى (حصارناى) وبقي سجيناً في هذا القصر مدة (١٩) سنة ، وقد حاول خلال هذه المدة ان ينال الشفاعة والعفو من السلطان فلم ينجح ونظم الشاعر مدة بقائه في السجن اشعاراً محزنة سماها « حبسيات » فمن شعره في السجن (١) توفي سنة ٥٤٩ هـ

نالم زدل جونای من اندر حصارنای
بستی کرفت همت من زبن بلند جای

أين من قلبي كالناي في (حصارناى) ، قد انحطت همتي في هذا المحل المرتفع !

آرد هوای نای مرا ناله های زار
جزناله های زارجه ارد هوای نای

تسبب نغمات الناي لي انيناً شجياً غير الانين المشجي ماذا تولد نغمات الناي ؟

عثمان مختاري

هو عثمان بن محمد الغزنوي المعروف بالمختاري توفي سنة ٤٥٤ هـ

(١) سر امدان سخن (ص ٢٥١)

وله ديوان شعر وقد مدح ملوكا اربعة هم ارسلان بن مسعود ، وسلطان غازى ثمين الدولة بهرامشاه ، ومعز الدين ارسلانشاه ، وارسلان خان محمد بن سليمان بن داود (١)

مجدود السنائى

هو ابو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى العارف الشاعر المشهور توفى سنة ٥٤٠ هـ (٢)

رشيد سمرقندى

ابو محمد عبدالله او عبد السيد رشيدى السمرقندى الشاعر كانت له مناظرات ادبية وشعرية مع الشاعر مسعود سعد سليمان المتقدم ذكره (٣)

اللامعى الدهستانى

ابو الحسن محمد بن اسماعيل اللامعى الجرجانى الدهستانى من شعراء السلطان ملكشاه و وزيره نظام الملك (٤)

برهانى

هو امير الشعراء عبد الملك النيشابورى توفى سنة ٤٦٥ هـ فى قزوين فى اوائل سلطنة ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى (٥)

(١،٢،٣،٤،٥) حواشى جهار مقاله ص ١٥٠ — ١٥٥

زعماء الحركة الفكرية فى عصره

الغزالى

هو ابو حامد محمد الغزالى ولد سنة ٤٥٠ وتوفى فى سنة ٥٠٥ هـ تلقى العلوم فى طوس لى العلامة احمد الراذكانى ثم اختلف الى دروس امام الحرمين ابي المعالى الجوينى فى نيسابور وكان الغزالى نابغة عصره وله آراء فى الدين ونظريات فى الفلسفة والاخلاق وقد نال فى حياته شهرة عظيمة وصيتاً كبيراً وكان فى ابتداء امره سوفسطائياً مرتاباً يميل الى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين فى سنة ٤٨٤ استاذاً فى المدرسة النظامية البغدادية فاحبه اهل بغداد وارتفعت عندهم منزلته وقد قضى فيها اربع سنوات مدرساً ثم حصل له تطور فجائي فى عقائده فعاد زاهداً ناسكا مؤمناً بالله وبقدسية انبيائه وخلود النفس بعد ان كان كثير الارتياب فترك بغداد مولياً ووجهه شطر بيت الله ثم زار الشام والقى فيها الوعظ والدروس ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد فى العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة واخيراً مال بكليته الى التصوف وقراءة كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة واشهر عليهم حرباً عواناً فى كتابه « تهافت الفلاسفة » (١) وانف التأليف النفيسة الجليلة التى دلت على قوة محاكمته وبعد نظره وصفاء ذهنه واشهرهـــا احياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقـه والمستصفى فى اصول الفقه ومحك النظر

(١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصراً للفلسفة

ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير اهله والمقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنخول والمنخل فى علم الجدل .

ثم عاد الغزالى الى نيسابور وعلم فى مدارسها وفى اواخر ايامه عاد الى وطنه واتخذ خانقاه للصوفيه ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الى ان انتقل الى ربه .

وكانت مكانته العلمية جليلة فى الاقطار الاسلامية وكان آية فى الذكاء حافظاً للعلوم حتى لقبه الناس « حجة الاسلام » والغزالى عاصر الخيام وصادفه فى بغداد وجرى بين الاثنين حوار علمى حول القراءة وتعيين جزء من احزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء....

الشهرستانى

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهرستاني الشهير وكنيته ابو الفتح واسمه محمد بن ابى القاسم عبد الكريم بن ابى بكر احمد الشهرستانى وكان اماماً مبرزاً فقيهاً عالماً بالاديان ضليعاً من اراء اصحاب المقالات تفقه على احمد الخوافى وعلى ابي نصر القشيرى وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على ابى القاسم الانصارى وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام واشتهر بتأليفه كتاب الملل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحيص الاقسام لمذاهب الانام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠ هـ واقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث

من على بن احمد المدينى بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ ابو سعد عبد الكريم السمعاني وذكره فى كتاب الذيل وسأله ابن السمعان عن مولده فقال فى سنة ٤٧٩هـ وتوفى بشهرستان سنة ٥٤٨هـ ومما ينسب اليه :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر ... على ذقن او قارعاً سن نادم

ولا اشك فى ان الشهرستانى كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام صلة به لاتفاق تلقبهما العلوم فى مدينة واحدة وتقارب اعمارهما وقد طعن الناس فى الشهرستاني واتهموه بالزندقة والمروق لاشتغاله بآراء الفلاسفة .

الشيخ ابو اسحق

كان امام وقته فى بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان فى عنفوان شبابه قد تفقه على جماعة من الاعيان وصحب القاضي ابا الطيب الطبرى وقد الف كتباً مفيدة منها المهذب فى المذهب والتنبيه فى الفقه واللمع وشرحها فى اصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص فى الجدل ومن شعره .

سألت الناس عن خل وفى ... فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بذيل حر ... فان الحر فى الدنيا قليل

توفى سنة ٤٧٦هـ وجلس اصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك ابا سعد المتولى مكانه ولما بلغ الخبر

نظام الملك كتب بانكار ذلك وقال كان من الواجب ان تغلق المدرسة سنة لاجله وزرى على من تولى موضعه وامر ان يدرس الشيخ ابو نصر عبد السيد بن الصباغ فى مكانه .

امام الحرمين

هو ابو المعالى عبد الملك الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين وكان اوحد اهل زمانه فى العلوم . تعلم فى مدرسة البيهقى ثم سافر الى بغداد وخرج الى الحجاز وجاور بمكة اربع سنين ثم درس وافتى فى المدينة فلهذا قيل له امام الحرمين و فى اوائل سلطنة ألب ارسلان السلجوقى عاد الى نيسابور وتولى التعليم والخطابة فى المدرسة النظامية التى بناها نظام الملك فى نيسابور وكان الشيخ ابو اسحق الشيرازى يقول له يامفيد اهل المشرق والمغرب انت اليوم امام الائمة وقد ترك مؤلفات هى ثروة عظيمة قد احصاها ابن خلكان (ج ١ ص٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩هـ ولما شاع خبر وفاته اغلقت الاسواق وكسر منبره فى الجامع وقعد الناس لعزائه واكثروا فيه المراثى وكانت تلامذته يومئذ قريباً من اربعمائة واحد فكسروا اقلامهم ومحابرهم واقاموا على ذلك عاماً كاملا وامام الحرمين هو احد اساتذة عمر الخيام .

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا فى حياة الخيام وادبه فى تاريخ مولده ولم نعثر فى كتب التراجم ولا فى المؤلفات التى تعرضت له عن تاريخ ميلاده ويزعم انه ولد فى اواسط القرن الخامس للهجرة وقد استدل على ذلك بما ذكروه من الخلاف فى تاريخ وفاته ، فاذا رجح القول بانه توفى سنة ٥٠٧هـ على ما ذكره صاحب كتاب مجمع الفصحاء (١) وقلنا ان الخيام عاش اثنتين وسبعين سنة كما يقول هو فى احدى رباعياته (٢) فيكون ميلاده فى سنة ٤٤٥هـ وذلك بعد اخراج ٧٢ سنة من ٥١٧ سنة .

---

(١) رضا قولى خان هدايت

(٢) وهذه هى الرباعية :

هر كز دل من زعلم محروم نشد
كم ماند ز اسرار كه مفهوم نشد
هفتاد ودو سال عمر كردم شب وروز
معلومم شد كه هيچ معلوم نشد

ما حرم قلبي قط من العلم ، لم تبق من الاسرار التي فهمتها الا قليلا عشت ثنتين وسبعين سنة ليلها ونهارها فعلمت اخيراً بانني لم اعلم شيئاً ابداً .

وكما اختلف فى تاريخ ميلاده فقد اختلف ايضاً فى تاريخ وفاته فاذا رجعنا الى « جهار مقالة » وهى اقدم واصح وثيقة لان مدونها تلميذ الخيام وهو احمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى نراه يقول انه قد زار قبره فى سنة ٥٣٠ هـ وقد قيل له ان استاذه قد توفى منذ اربع سنوات فعلى هذا يجب ان يكون قد توفى سنة ٥٢٦ هجرية

اسمه ولقبه وكنيته

هو ابو الفتح غياث الدين عمر بن ابراهيم الخيام وقد سماه شمس الدين سامي بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشى المقالات الاربع بعمر ابن ابراهيم كما سماه صاحب تاريخ زبده سنة ٧٣ وصاحب كشف الظنون فيكون ما ذكره شمس الدين سامى خطأ فى ذكر اسم ابيه .

قال واضع حواشى المقالات الاربع وتسميه العرب بالخيامي والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشئ من تباين اللغتين ، وكنوه ابا الفتح عملا بالسنة والا فان الخيام حصور لم يتزوج على ما ذكره شمس الدين سامي وعلى ما اعتقد وكلمة الخيام تدل على انها لقب له ولعائلته على انه قد فسر هذا اللقب فى رباعيات له قال : —

خيـــام تنت بخيمهٔ ما ند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقاست

فراش ازل زبهر ديكر منزل
نمخيمه بيفكند چو سلطان برخواست

ياخيام ان جسدك بماثل الخيمة حقاً والروح التى منزلها دار البقاء تشبه السلطان فاذا ارتحل السلطان الا تقوض الخيمة .

خيام كه خيمه هاى حكمت مبد وخت
در كورهٔ غم فتاد وناكاه بسوخت
مقراض اجل طناب عمرش ببريد
دلال امل برا يكانش بفروخت

وقع خيام الذى كان يخيط خيم الحكمة فى كور الغم واحترق وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره وباعه دلال الامل رخيصاً .

نسبه وعائلته

العناية بالانساب والاحساب من خصائل العرب اما الفرس فانها لم تعن الا بحفظ انساب ملوكها فلذا لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من اى الطبقات كانت عائلته غير ان سيرته تدلنا على انه كان من عائلة فقيرة ليس لها ثروة كافية فى ذلك الزمن العسير الذى كثرت فيه الحروب وقد

اعترف الخيام مرة بحاجة الى المال فى حديثه مع نظام الملك وياليتنا قد عثرنا على نسبه وعرفناه ابويه معرفة تامة لان ذلك يسهل لنا الوصول الى معرفة السر فى تكييف خلقه وسجيته اذ لاينكر مالقانون الوراثة من الاثر والفعل .

ولده

المشهور الشائع انه ولد فى نيسابور وفيها . تلقى علومه غير ان صاحب تأريخ الالفى لمؤلفه « احمد بن نصر الله تتوى (١) يزعم بان البعض يقول انه ولد فى قرية « شمشاد » التابعة لمدينة بلخ . و بعضهم يقول انه ولد فى قرية (بسنك) من توابع استراباد غير ان الشهرزورى والقزوينى وخواندمير يؤديون بانه ولد فى نيسابور وهذا هو الصحيح .

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون فى ايام عثمان رضى الله عنه والامير عبدالله بن كريز فى سنة ٣١ صلحاً وبنى بها جامعاً وفى رواية اخرى انها فتحت فى ايام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس وانما انتقضت فى ايام عثمان فارسل ابن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية وقد وصفها صاحب معجم البلدان ٢) بانها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة

(١) عمر الخيام لحسين داتش ص (١٣)
(٢) ياقوت الحموى

معدن الفضلاء ومعدن العلماء وقال لم ار فيما تطوفت من البلاد مدينة كانت مثلها واكثر شرب اهل نيسابور من قنى تجرى تحت الارض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق الحلاوة ، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات وبها رياس ليس فى الدنيا مثله تكون الواحدة منه منا واكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة ارطال بالعراق وهى بيضاء صادقة البياضة كانها الطلع .

وكانت نيسابور حافلة باهل العلم والادب وقد خرج منها عدد غير يسير من ائمة العلم منهم الحافظ الامام ابوعلى الحسين بن على النيسابورى والامام موفق النيسابورى استاذ عمر الخيام .

والغريب ان الشعراء قد اكثروا من ذم نيسابور كابي الحسن الاسترابادى الذى يقول .

لاقدس الله نيسابور من بلد ... سوق النفاق بمغناها على ساق
يموت فيها الفتى جوعا وبرهم ... والفضل ماشئت من خير وارزاق
والخير فى معدن الغرثى وان برقت ... انواره فى المعانى غير براق

وكقول المرادى ،

لاتنزلن بنيسابور مغتربا ... الا وحبلك موصول بسلطان
اولا فلا ادب يجدى ولا حسب ... يغنى ولا حرمة ترعى لانسان

وممن شكى ليله فيها معن بن زائدة الشيباني.

تمطى بنيسابور ليلى وربما ... يرى بجنوب الري وهو قصير
ليالي اذ كل الاحبة حاضر ... وما لحضور من تحب سرور
فاصبحت اما من احب فنازح ... واما الالى اقليهم فحضور

وفي نيسابور تلقى عمر الخيام ورفيقه نظام الملك وحسن الصباح العلوم على الاستاذ الامام موفق النيسابوري الشهير وفيها عاش ومات.

اسفاره

ليس من المستطاع انكار ماللاسفار والسياحات من الاثر في النفس وتطويرها وتكوين خلق الانسان وتكييفه . الحق ان التنقل من قطر الى قطر ومعاشرة الناس على اختلاف مللهم ونحلهم واهوائهم يزيد في الانسان حنكة وتجربة ويقوي فيه العزم ويعوده تجشم المصاعب . وعند الفرس ان العاقل المجرب هو الذي ساح في الدنيا. فقد قالوا « خرد مند جهاندیده است » (١) اي العاقل المحنك من رأى الدنيا يعنون سافر وساح. وقد قام عمر الخيام برحلتين: الاولى في فارس، والثانية الى بلاد العرب وهي التي ادى فيها فريضة الحج ، ومكث عند ايابه في بغداد مدة من الزمن .

اما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تتعد السفر الى بلخ وبخارى ، وفي بلخ زاره تلميذه النظامي العروضي السمرقندي في سنة ٥٠٦ هـ في صرخ امير بوسعد جره ،

وذكر الشهرزوري ، ان الخاقان شمس الملوك ببخارى كان يعظمه ويجلس الامام معه على سريره.

أما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطي فقال :

« ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه

(١) ولهم مثل اخر ينا قضه وجهاندیده بسیار کوید دروغ ، اي ان الذي رأى الدنيا اي ساح — يكثر من القول الكذب

وامسك من لسان عنانه وقلبه وحج متاقاة لاتقية ، فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام لم يكن راغباً فى الحج وانما شد الرحال الى البيت مكرهاً وذلك تسكيناً للخواطر والنفوس التى حنقت وثارت عليه .

ثم قال « ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته فى العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم ... » (الكتاب ص ١٤)

« ولم يذكر لنا القفطى المدة التى اقامها ببغداد ، ولا شك انه قد استفاد من بقائه فى بغداد فائدة عظيمة اذ كانت مقر الاسرة المالكة من بنى العباس ولعبة للعلم يقصدها الشعراء والحكماء والرواة وكانت آهلة بالمدارس حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية كثيرة خزائن الكتب ، وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل فى الحكمة والفقه والكلام والعلوم الشائعة . وبالجملة فقد كانت الحياة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة .

واجزم بان عمر الخيام قد ارتشف من هذا المنهل العذب مالم يكن قادراً على ارتشافه فى بلاده . وقد اشار الى بغداد فى رباعياته غير مرة فمن قوله :

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه جو برشود جه بغداد جه بلخ
مى نوش كه بعد ازمن وتوماه بسى
از سلخ به غره آيد از غره بسلخ

مادام العمر ينقضى فسيان عندى حلوه ومره ، واذا امتلأت الكأس اى (مت) فسيان عندى أمت فى بغداد ام فى بلخ . احس ياصاح كؤوس الحميا ! فان القمر سينتقل من بعدى وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيراً .

شهرته

ان سيرة الخيام فى حياته ومانقله المؤرخون عنه يدل على انه كان متمتعاً بشهرة واسعة فى عصره وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ماكان عليه من علم وادب وحكمة ، وقد لقب فى حياته بألقاب فخمة جليلة ، فكان تلميذه العروضى السمرقندى يسميه « حجة الحق » والبيهقى يسميه « الامام » وبالغ الامام القاضى ابو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوى فى الثناء عليه فسماه « سيد الحكماء » ولما سأله عن حكمة الله تعالى فى خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات صدر الرسالة بابيات فى مدح الخيام ، وهى :

ان كنت ترعين ياريح الهبا ذمى ... فاقرى السلام على العلامة الخيمى
بوسى لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه ... ماء الحياة رفاة الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها ... تغنى براهينه عن ان يقال لم (١)

(١) راجع جامع البدائع ص (١٦٦) وهى مجموعة رسائل طبعت بمطبعة السعادة فى مصر بعناية محى الدين صبرى الكردى

«النسوى هذا تليذ «ابن سينا» وكان من فضلاء عصره وان اهتمامه بالخيام واطنابه بالمديح عليه الى هذا الحد دليل على مكانة الخيام وشهرته فى عصره .

ويظهر ان الخيام لقب فى عصره «بالفيلسوف» نفهم ذلك من رباعية له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة ولا ادرى أتواضعاً كان ذلك منه أم خشية

دشمن بغلط گفت كه من فلسفيم
ايزد داندكه آنچه او گفت نيم
ليكن جو در ابن غم آشيان آمده أم
آخر گم از آنكه من بدانم كه كيم؟

اخطأ العدو بقوله اني فلسفى وقد علم الله انى لست كما قال ولكن اذ وجدت نفسى فى دار الغم «الدنيا» فلا اقل ان اعرف من انا !

مزاجه

ان الذى ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام انه كان حاد الطبع عصبى المزاج وان رباعيته المشحونة بشكوكه واوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله فى حل المشاكل العلمية والفلسفية وشذوذ اتجاهاته واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على ان عمر الخيام لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه صفة الغلظة والشراسة والغلظة والشراسة وحدة المزاج صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شديد التشاؤم — كما

سنبرهن على ذلك . ولهذا السبب ولما اشكل ايضاً على الناس ان يطلعوا على سريرته وصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما .

مواهبه

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوى الذاكرة ، وتدل رباعياته ومؤلفاته واطلاعه الواسع فى مختلف العلوم والفنون على عقل راجح وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى رووا الاعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته . فقد روى لنا الشهرزورى انه تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت » (١)

والامر الذى لا شك فيه ان الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة .

انهماكه بالرشاقة

كان الخيام يعلم الفلسفة فى نيسابور وبالفلسفة اشتهر وذاع صيته وبها فاق اقرانه وبها بز لداته واترابه من معاصريه . وقد اجمع الرواة على انه

(١) ومثل هذا روى عن ابى العلاء المعرى فقد زعموا انه حفظ مناجاة فارسية سمع لفظها ولم يفهم معناها ، وانه حفظ حسابا طويلا كان بين تاجرين فلما فقد احدهما وثيقته املاها عليه ابو العلاء بعد زمن طويل . وزعموا ان رجلا من اهل اليمن وقع له كتاب فى اللغة قد ضاع اوله فعرضه على طائفة كثيرة من اهل العلم فكلهم لم ينفعه ولم يدله على اسم الكتاب فلما عرضه على =

كان فذاً منقطع النظير فى اجزاء الحكمة فى الرياضيات والمعقولات ولما شاعت آراؤه فى الفلسفة وذاعت نظرياته فى الحكمة اصطدم الناس بهذه الحقائق الناصعة ورأوا شيئاً لم يألفوه من قبل وصموه بالزندقة وطعنوه فى عقيدته وظنوا فيه الظنون واخذوا يتقولون عليه وينقدونه.

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازى سنة ٦٢٠ هـ فى كتابه مرصاد العباد ان عمر الخيام قد تاه فى بيداء الضلال بقوله الرباعية المذكورة فى (ص ١١ من هذا الكتاب) وزعم المؤرخ العربى الوزير القفطى ان قد قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره فى مكنونه فخشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه رحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ..(راجع ص ١٤ من الكتاب) وقد ادرك الخيام تقولات العميان من الناس فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

كرمن زمى مغانه مستم ، مستم ؛
كر كافر وكبر و بتپرستم هستم
هر طايفه بمن كمانى دارند :
من زان خودم ، جنانكه هستم ، هستم

انا ان كنت ثملا بخمرة المجوس فانا ذاك وان كنت كافراً او مجوسياً او وثنياً فاناذاك فلكل زمرة من الناس ظن فى ، اما انا فلك نفسى اكون كما أريد !

= ابى العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه واملى عليه ماضاع منه (راجع ص ٢٢٢ من كتاب ذكرى ابى العلاء للدكتور طه حسين)

ادبه وعلمه

للاستاذ اثر فى نفس التلميذ من وجهة التثقيف والتفكير ، والتلميذ على الغالب يقلد استاذه و يأخذ طريقة اتجاهه وميله فينشأ على شاكلته مقتفياً اثره حتى اذا قوى ادراكه ونضج عقله ونال شيئاً من الاستقلال فى الرأى ظهر اختياره وبانت رغائبه وانقاد الى الميل الطبيعى الذى يتحسس به و يشعر . لذلك لا أجد بداً - وانا ابحث فى ادب الخيام وعلمه - من تعريف شخصية اساتيذه الذين تتلمذ لهم فى عنفوان شبابه ليظهر الاثر الذى تركوه فى نفسه وأثر المصدر الذى أخذ عنه .

أخذ الخيام العلوم عن الامام موفق النيسابورى كما ذكر ذلك نظام الملك فى وصاياه ، وقال شمس الدين سامى مؤلف قاموس الاعلام: « اخذ الخيام علومه عن استاذ الحكيم السناق (كذا) شيخ الاسلام ناصر الدين محمد بن منصور ، وهناك رأى فى انه تتلمذ لابي على الحسين ابن عبد الله « ابن سينا » البخارى لان الخيام قال (١) فى بحثه عن تفاوت الموجودات فى رسالته الكون والتكليف التى الفها سنة ٤٧٣ هـ واجاب فيها عن سؤال القاضى الامام ابي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى تلميذ ابن سينا عن حكمة الخالق فى خلق العالم ولا سيما الانسان وتكليفه العبادات :

« فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس حتى لا يكاد يوجد

---

(١) جامع البدائع ص ١٧٠—١٧١

عاقل الا ويعتريه فى هذا الباب تحير ولعلى ومعلى افضل المتاخرين الشيخ الرئيس ابا على الحسين بن على بن عبـــد الله سينا البخارى اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا ... »

ان الذى يجعلنى اتردد فى صحة هذه الرواية هو عدم وجود ادلة قطعية تثبت صحة هذه الرسالة ثم ان ما احتوت عليه الرسالة من الحجج والاراء فى منشأ الكون وتبرير التكليف يناقض ما جاء فى رباعياته كل المناقضة لقد ذكر الشهرزورى فى بحثه عن الخيام وتعداده مؤلفاته بان له رسالة فى الكون والتكليف بيد انه ليس فى ايدينا دليل يثبت ان الرسالة التي ذكرها الشهرزورى هى الرسالة التي نشرها الفاضل محى الدين الكردى فى مصر .

ثم اني بحثت وجاهدت كثيراً للعثور على ترجمة الاستاذين الاخرين شيخ الاسلام منصور والموفق النيسابورى فلم اظفر بطائل .

فمن هنا خسرنا اعظم مصدر نستطيع ان ندرس به عقلية الخيام ونقيس به مبلغ علمه .

رباعياته

جمع عمر الخيام فضائل جمة ومزايا كثيرة . فقد كان اماماً فى العلوم الرياضية والفلكية تشهد له بذلك تآليفه القيمة فى علم الجبر و بنائه الارصاد وترتيبه الزيج ، وكان طبيباً حاذقاً ومحققاً بارعا ومتفكراً كبيراً ، والى كل ذلك كانت منزلة سامية فى الشعر وقد سلك فيه مسلكا لم يسلكه غيره .

واذا بحثنا فى ادب الخيام فلا يعنينا ان نبحث فى مؤلفاته وعلومه وانما نقتصر على رباعياته الذائعة الصيت التى فتنت الالباب فكان لها انصار يجعلونه من اكابر الشعراء ويسرفون فى تبجيله .

نظم الخيام رباعياته فى ازمنة وامكنة مختلفة وكانت نفسيته تتمثل فى كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصاً بها بما كان يحيط به من المؤثرات فيقول فى كل حادثة كلمة ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين فتارة نراه مؤمناً مطمئناً وتارة مرتاباً مضطرباً وهو أشبه روحاً بابي العلاء فى لزومياته وهـــذا يدل على كونه شاعراً حقيقياً تختلج فى قلبه افكار شتى ، ثم اننا نرى بعضها سخيفاً سمجاً لا يستحق العناية وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وادبية وفلسفية .

وعروض الرباعيات فى الغالب على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو مركب من اربعة مصاريع الاول والثاني والرابع مقفى والثالث مطلق وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معنى واحد .

والذين نظموا الرباعيات من ادباء الفرس كثيرون ولكن الخيام على ما نعتقد برز على الجميع كما سأبين ذلك وبحسبنا ان نقول انها تكاد تكون المصدر الوحيد لاراءه الفلسفية ومذهبه واخلاقه ومجموعها يعبر

عن نفسيته احسن تعبير ويتضمن كل ما كان يختلج فى صدره من شكوك رهواجس ووساوس والام ونزعات ونزغات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثون وتضاربت اراؤهم فى عدد الرباعيات كما اختلفوا فى عقيدته ورأيه فى الحياة . فيقول بعضهم : ليس كل مافى الرباعيات هوله .قد بلغ مافى النسخ المطبوعة فى الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعية وعددها الصحيح يتراوح ما بين ١٢٠ — ١٥٠ واما الباقى فهو لشعراء اخرين نسبها اليه المتأخرون او دسوها فى ديوانه . وقد وقعت بيدى بضع نسخ منها مطبوع بعضها فى الغرب و بعضها فى الشرق وكل مافيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية ونسخ اخرى فيها ١٢٠ او ١٥٠ او ٥٠ او اقل . فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه .

وانا لا انكر ان الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشياً فى عصر الخيام وما قبله وما بعده وكان للانتحال شأنه فى كل عصر من العصور المتقدمة ولا ننكر ان للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضهم له فى حياته وبعد وفاته ، ولكن قول ابن القفطى « ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلبه حج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرائر غير نقية .. الخ » دليل على انه لم يبق لاعدائه حاجة الى الدس عليه فانه جاهر بما يريد ان يقوله فلم يلاق من الجمهور صدراً رحيباً لقبول اقواله او صرفها عن ظاهرها .

* * *

نظم الخيام فى حياته رباعيات كثيرة ، ونعتقد انه من الصعب جداً تعيين ما له وما ليس له منها لانه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ولا هو اول مبتكر لهذا الاسلوب ، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى وقد وجدت بعض الرباعيات المعزوة له فى دواوين شعراء الفرس كابي سعيد ابي الخير وافضل الكاشاني والانورى وابن سينا وحافظ الشيرازى وجلال الدين والخاقانى وسعدى الشيرازى وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

* * *

تقول المس كادل التى ساخت عدة سنوات فى تحقيق رباعيات الخيام واظهرت ماله وما ليس له : ان له ١٢٠٠ رباعية وان اقدم نسخة للرباعيات وهى المحفوظة فى مكتبة (بودلين) فى اكسفورد معلمه برقم ٥٢٥ وهى نسخة صحيحة كتبت سنة ٨٦٥هـ اى بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف قرن فهى اقدم نسخة بين ايدينا وهى تشتمل على ١٥٨ رباعية .

ولو قبلنا كل الرباعيات التى تنسب الى الخيام بغير تمحيص لتراوح عددها بين ٦٠٠ — ١٠٠٠ رباعية والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة امر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس انفسهم .

وفى هذه الحالة ليس لدينا من وسيلة نفهم بها ما للخيام غير مذهب الخيام الفلسفى الخاص به . وغاية ما نقوله فى هذا الصدد ان هذه الرباعيات كلها للخيام رديئها وجيدها فان الشاعر قد يحسن وقد يسئ والجواد يعدو ويكبو ولا غضاضة فى ذلك فكثير من شعر المتنبى

وأبي تمام والبحتري والمعري وغيرهم ماهو غير جدير بالتدوين والانشاد وعلى كل فان مذهبي في معرفة رباعياته هو مقارنتها بمذهبه الفلسفي الخاص.

وقد اعتمدت في ترجمة الرباعيات نسختين الاولى نسخة العالم المحقق الالماني « فردريخ روزن » والثانية نسخة الاديب الفارسي الشهير حسين دانش.

والان نعود فنقول كلمتنا في أدبه :ـ

كانت اللغة العربية في عصر الخيام لغة العلم والدين بل كانت اللغة الرسمية وكان الفرس يدرسون العلوم والاداب والفنون باللغتين العربية والفارسية معاً ويؤلفون باللغتين كما انهم كانوا يقرضون الشعر باللغتين ايضاً وقد وجدنا للخيام ولغيره من شعراء الفرس كسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم شعراً بالعربية مما يدل على شيوع العربية في فارس وقد عثرنا على شعر عربي لعمر الخيام يدل على تضلعه من العربية وعلو كعبه فيها. ولنبحث الان في ادبه وشعره بلغة قومه ثم نعود فنبحث في ادبه العربي.

يرى الناظر في رباعيات عمر الخيام الفارسية تناقضات كثيرة ومواضيع متباينة وآراء مختلفة فكؤوس وابارين، ودنان وطاسات وخمرة وردية، وآنية عسجدية، وحانات وسقاة، ومعشوق مليح، وعود صبيح وجنة غناء، واغصان خضر، وبلابل تغرد، وحمائم تسجع، ولذة وسرور، ومداعبة العين الحور، وابتسامات حلوة ونشيد بديع، وتفاؤل عظيم، ثم زفير وشهيق، ودموع ونشيج وصيحات تنم عن الم، وصرخات تشف عن

حزن، وشك والحاد، ويقين واعتقاد، وكفر صميم، وايمان قويم، ويأس مظلم، وحزن عميق، وسباب على الكواز الذي يجبل الطين باعتساف، وشكوى من الفلك الجائر، ونفس مضطرمة تجيش بالهم؛ ثم تهكم بالعادات، وسخرية بالاديان، وانكار للبعث وجحود للحشر، وهزؤ برجال الدين، وطعن شديد ونقدمر للاخلاق والانظمة؛ ثم فكر حر، واستقلال بالرأي، وجرأة قوية وصراحة عجيبة، واقدام وتردد، ونقض وابرام، وبلاغة عالية وشاعرية فذة، وذكاء لامع، وكلام رفيع، وقول سمج سخيف!

وخلال هذه المتناقضات يظهر ادب الخيام عريان كالطبيعة السافرة التي كشفت عن قناعها وهي تبدي تارة رقة كرقة النسائم في الربيع وتارة غضباً كغضب الرياح الهرج التي يصحبها الرعد والبرق وطوراً تحهما كتجهم الخريف الحزين، وجمالا كجمال السماء في الليلة الصاحية!

فلا نجد في هذا الادب الغض الرياز غير هواجس نفس الخيام المنطلقة الثائرة تارة والمطمئنة الهادئة تارة اخرى وهو يمثل روحه اصدق تمثيل، فهو الشاعر الذي ماعرف غير الطبيعة وما فيها من شؤون، ونفسه وما فيها من الام وافراح وشجون، فهو لم يتغزل الا بالطبيعة وما انتجته الطبيعة من حسن رائع، وهو لم يصف الا ماكانت تشعره نفسه الهائجة الثائرة، وهو لم يسخر الا بما كان يعارض حريته، وهذا هو السر الذي جعله من الخالدين على كر السنين!

* * *

استعمل الخيام كلاماً فى نظم رباعياته من النسق العالى فاختار الفاظاً تناسب المعنى والقصد ، وساق رأيه المدعم بالحجة القوية بأربعة مصاريع بقوة ومتانة وانسجام ، وعندما يريد زفاف رباعية تلك العروس الحسناء يزودها بشئ من الخيال والنقد والسخرية فترى الرباعية تهبط القلب قبل الاذن فتحدث هزات عنيفة فى شعور السامع وصدمات قوية فى جوانح القارئ ثم تترك اثراً عميقا تعقبه ضحكة طويلة احيانا واحيانا اسفاً بليغاً وهو يرسل الالم والفرح والشؤم والنصيحة والحكمة منتقلا بالقارئ من رأى الى رأى صارخاً ضاحكا مداعباً ممازحاً وبهذا يظهر مهارته اللغوية والفكرية بأجلى مظاهرها مكرراً نغمة واحدة ومنشداً هزجاً واحداً هو « العمر باناس قصير فاغتنموا الفرصة بين العدمين » ولولا ضيق المجال لاسهبت الان فى تحليل رباعياته ، ولكننى اورد امثلة من رباعياته تأييداً لما أدعيه .

مي خوردن وشادبودن آيين منست
فارغ بودن زكفر ودين دين منست
كفتم بعروس دهركابين توجيست
كفتا دل خرم توكابين منست

عادتي ان احسو المدامة واطرب، ودينى أن اهجر الكفر والدين. سألت عروس الدهر — الحياة — ماهر صداقك ؟ قالت قابك الطروب صداقى !

كويند بمن بهشت باحور خوشست
من ميكويم كه آب انكور خوشست

اين نقد بكير ودست ازان نسيه بدار
كاواز دهل شنيدن ازدور خوشست

يقولون لى الجنة طيبة بالحور، وأنا اقول عصير الكرم هو الطيب، خذ هذا النقد ودع ذلك الدين فسماع صوت الطبل من بعيد حسن !

اين قافلهٔ عمر عجب ميكزرد
درباب دمى كه باطرب ميكزرد
ساقى غم فرداى قيامت جه خورى ؟
بيش آر بياله كه شب ميكزرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً فاغتنم وقتاً تطرب فيه ايها الساقى ! مالك مهموماً من القيامة فى غد ؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء

كويندكه ماه روزه نزديك رسيد
من بعد بكرد باده نتوان ديد
در آخر شعبان بخورم جندان مى
كاندر رمضان مست بيفتم تا عيد

يقولون قد اتى شهر رمضان وليس لاحد بعد ان يحوم حول المدام ! اما انا فسأشرب منها فى آخر شعبان ما أبقى به سكران طوال شهر رمضان حتى يوم العيد !

هذا نموذج من ادبه الفارسى ومن العسير جداً على غير العارفين بالفارسية ان يشعروا باللذة التى يشعر العارف بها الحائط علماً بدقائقها

ونكاتها وروعتها، وما حيلتنا والترجمة عادة تذهب الكثير من جمال الاصل!

الخيام وشعراء الفرس

كلمت كثيراً من ادباء الفرس فى كربلا و بغداد وطهران عن منزلة الخيام الشعرية فوجدت بعضهم يعده من شعراء الطبقة الاولى، وبعضهم يعده من الطبقة الثانية، وفريق يضن عليه بلقب شاعر، والمنصفون منهم يقولون انه من الطبقة الثانيـــة ويقولون ان فى شعراء فارس كثيرين يقدمون عليه وشعره الجيد القليل لا يجعله من المحرزين لقصب السبق فحافظ الشيرازى وسعدى الشيرازى والخاقاني والفردوسى وجـــلال الدين الرومى افضل منه شعراً واكثر اجادة وابرع فى تصوير المعاني الجليلة وتمثل المقاصد العالية، وهم اكثر غاية بالشعر وقد اختصوا به وانقطعوا اليـــه مدة حياتهم وفيهم المعمرون الذين جاوزوا المئـــة — كسعدى الشيرازى — فالخيام يعد بينهم شاعراً وسطاً وانما كانت له هذه النباهة الذائعة بما قاله من العدد اليسير من الرباعيات وهذه لاتضعه فى مراتب كبار الشعراء والرعيل الاول من البلغاء!

اما انا فاعده فى الرعيل الاول من الشعراء واعتقد انه لايقـــل عبقرية عن حافظ وسعدى والرومى وخاقانى والناس مختلفون فى اذواقهم وقد وجدت اناساً يقدمون بن ابي ربيعة على المتنبى واناساً يفضلون الشريف الرضى على المعرى والمتنبى ولكل ذوقه ورأيه

شعره العربى

شعره العربي نزر جداً ولم نعثر له الا على ثلاث قطع ذكر واحـدة منها القفطى فى كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء «ص ٢٤٣ — ٢٤٤» وذكر القطعتين الثانيتين الشهرزورى فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح «ص٣٢ رباعيات الخيام لحسين دانش» وفى بعض ابيات شعره زحاف وفى بعضها ركة وبعضه غير واضح ومع ذلك فانه كثير من فارسى رياضى فلكى فيلسوف افنى حياته فى ممارسة الفنون والعلوم والفلسفات.

وفى شعره مسحة من روح أبي العلاء وفيها نفحة من نفحاته العلوية وفيما يأتي شعره العربي:

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفى وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازمانى موعدى او مواعدى
ولى فوق هام النيرين منـــازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
اليس قضى الافلاك من دورها بان ... تعيد الى نحس جميع المســـاعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما ... تخر ذراها بانقضاض القواعـــد
متى ما دنت دنياك كانت بعيـــدة ... فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحـــياة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعـد (١)

* * *

(١) والبيت الاخير ينطبق على روح الخيام كل الانطباق وقـــد كرر هذا المعني كثيراً فى رباعياته

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى ... بل الافق الاعلى اذا جاش خاطرى (١)
اصوم عن الفحشاء جهراً وخفيه ... عفافاً واطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
فان صراطى المستقيم بصائر (٢) ... نصبن على وادى العمى كالقناطر

* * *

زجيت دهراً طويلا فى التماس اخ ... يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
فكم الفت ولم آخيت غير اخ ... ولم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها ... والله لا تألفى ما عشت انسانا (٣)

* * *

وله ابيات اخرى وجدتها فى ترجمة وديع البستاني لرباعياته ، غير انه لم يذكر المصدر الذى نقل عنه هذه الابيات وهذه هى :

سبقت العالمين الى المعالى ... بصائب فكرة وعلو همة
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ليـــال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفؤها ... ويأبى الله الا ان يتمه

* * *

العقل يعجب فى تصرفه ... ممن على الايام يتكل
فنوالها كالريح منقلب ... ونعيمها كالظل منتقل

(١) لم اجد الخيام متفاخراً بل عرفته آية فى التواضع
(٢) وفى رواية معابر
(٣) فى هذه الابيات مسحة من روح الخيام ومذهبه الشعرى

ان الذى ظهر لنا من ترجمة الخيام وسيرته انه كان متضلعاً من العلوم الشائعة فى عصره ولاسيما الرياضيات والفلك .

قال الشهرزورى « كان تلو ابي على بن سينا فى اجزاء علوم الحكمة وكان ابن بجدتها فى اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات » وفى كامل التواريخ لابن الاثير فى ذكر حوادث ٤٢٧هـ « وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى » وقال فيه القفطى « امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ... وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل فى هذه الانواع لو رزق العصمة ... »

وقال القزوينى فى بحثه عن نيشابور « وينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيما عارفاً بانواع الحكمة سيما النوع الرياضى وكان فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى سلم اليه مالا كثيراً ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك »

وقال الابرقوهى « خيام — وهو عمر بن الخيام — « كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة وفى علم النجوم وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لانظير لها ... » وقال حمدالله المستوفى القزوينى « عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعاً من اكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره »

* * *

من العلوم التى اقبل على تعلمها المسلمون يومئذ علم الفلك (١) وكان لابي جعفر المنصور الخليفة العباس رغبة شديدة فيه ، وهو الذى امر محمد الفزارى ان ينقل الى العربية كتاب السند هند ، وكان علماء الفلك قسما من موظفى الدولة يرافقون الخلفاء والملوك فى اسفارهم وغزواتهم وقد ظهر فى عهد المامون العباسى محمد بن موسى الخوارزمى وبنو شاكر الثلاثة الذين قاسوا درجة خط نصف النهار (٢) .

ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا فى هذا العلم ابو المعشر البلخى ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قره الحرانى ، واحمد بن كثير الفرغانى ، وسهل بن بشر ، ومحمد بن عيسى الماهانى ، ومحمد بن جابر الحرانى ونبغ فى القرن الرابع والخامس ابو الوفاء ، والبوزجاني ، والبيروني ، وفى القرن السابع ظهر امام الفلكيين نصير الدين الطوسى ، ونبغ فى عصره مؤيد العروضى ، وابنه محمد بن المؤيد والفخر المراغى ، والخلاطى ، ونجم

(١) تاريخ علم الفلك قديم جدا يرجع الى نحو الاف من السنين وقد اولعت به الامم القديمة واختلف فى موطنه الاول فاهل الصين يزعمون ان لديهم ارصادا عملت قبل الطوفان ، وقد اشتغل به الكلدانيون منذ ٥٠٠ سنة وتقدم عندهم وقد بلغ من تولعهم بالاجرام السماوية انهم اول من قسم النهار الى ١٢ ساعة ولم يقصر المصريون واليونانيون فيه فقد كانت لليونانيين مدارس كبيرة لتدريسه يرجع عهدها الى الفلكى اليونانى « ثاليس » الذى عاش فى القرن السادس للمسيح وقد انشأت فى عهد الدولة البطليموسية مراصد عظيمة فى الاسكندرية

(٢) راجع كتاب علم الفلك وتاريخه فى القرون الوسطى للسنيور لولونيو

الدين القزوينى وغيرهم من الفحول .

وقد أجمع المؤرخون على أن الخيام كان بارعاً بعلم الفلك وذكروا أن ملكشاه السلجوقى اعطى الخيام اموالا لبناء رصد عظيم فتوفى ملكشاه ولم يتم العمل ، واتفقوا على انه هو الذى تولى ترتيب « الزيج » لملكشاه السلجوقى رتبه بمعونة سبعة من المنجمين منهم ميمون بن نجيب الواسطى ، وابو المظفر الاسفزارى ، وعبدالرحمن الخازن (١)

قال احمد رفيق فى تاريخه العام المفصل :— ان عمر الخيام أصلح التقويم الفارسى واكمله على عهد السلطان ملكشاه ، السلجوقى .

وقال حميد وهبي فى كتابه (مشاهير الاسلام) :— ان هذا الاصلاح وافق اليوم الثامن من رمضان تلك السنة وقد استعملت الكبيسة التى اعتنت بها الروم ولم يلتفت اليها الفرس فى ذلك الحين وهى ضم يوم واحد الى نهاية كل رابعة اربع سنين وسمى هذا الزيج

١ وفى كتب الفلك ان الات الرصد المستعملة فى ذلك العهد هى ١ — الليبنة ٢ — الحلقة الاعتدالية ٣ — ذات الاوتار وهى اربع اسطوانات مربعة يعلم بها الميل ٤ — ذات الحلق ٥ — ذات السمت والارتفاع وهى نصف حلقة قطرها سطح من اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعه ٦ — ذات الشعبتين وهى ثلاث مساطر على كرسى يعلم بها الارتفاع ٧ — ذات الجيب ٨ — المشتبهة بالمناطق وهى ثلاث مساطر يعلم بها مابين الكوكبين من البعد ٩ — الاسطرلاب وله انواع ١٠ — الارباع ولها اشكال ، نقلا عن العالم الجليل السيد عبدالحليم الحافانى وهو من اجلة العلماء فى بغداد وله شغف بعلم الفلك واطلاع واسع به .

بالجلالى اوالملكى وحصل من هذا الحساب فائدة عظيمة لبيت المال لجريانه على محور ثابت .

وقال عبد الرحمن شرف فى كتابه (زبدة القصص) ان التقويم او الزيج الجلالى الذى رتبه عمر الخيام وعبد الرحمن الخازن هو اقل خطأ من التقديم الغريغورى . قال صاحب كشف الظنون فى باب (الزاى) انه وضعه عند ما سافر الى مرو فاكرمه السلطان وامره باصلاح التقويم مع جماعة ثمان فاصلحوه ، قال ابو الفداء : — انه يوافق ١٠٧٩ ميلادية ونسبه الى جلال الدين ملكشاه ودعى الزيج الجلالى .

وقال المؤرخ الانكليزى (ليبن) ان الزيج الذى رتبه الخيام يتفوق على التقويم الجولياني وعلى صحة النمط الغريغورى .

فالظاهر مما تقدم ان الخيام كان اماماً فى علم الفلك وحجة فى الرياضيات

***

وقد وردت عنه حوادث يستدل بها انه تعلم الطب و مارسه وتعلم الهندسة والعلوم الطبيعية والكيمياء والجبر ، والف فى هذه المواضيع رسائل جليلة ، ونستدل على درسه الطب ما ذكره الشهرزورى قال :

« ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد اصابه جدرى فلما خرج سأله الوزير كيف رأيه و بأى شئ عالجته ؟ فقال عمر ، عمر الصبي مخرف فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان ابغضه وكان لايحبه (الكتاب ص ١٣) . وكان الخيام شغوفاً بمطالعة كتب (ابن سينا) الفيلسوف الطبيب وقد صرح الخيام بانه تتلمذ له واذا صح انه

درس على ابن سينا فلا اشك فى انه اخذ الطب عنه .

والف فى الهندسة رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة (ليدن) ، والف فى الطبيعيات رسالة مختصرة وفى الكيمياء رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما والرسالة الان فى المانية فى مكتبة (غوتا) ورسالة فى الجبر والمقابلة طبع متنها العربى وترجمتها بالافرنسية المسيو (ويكه) فى باريس سنة ١٨٥١

مؤلفاته

قال صاحب نزهة الارواح — وقد ذكرناه آنفاً — « وله — اى لعمر الخيام — ضنة بالتصنيف والعلم ، وله مختصر فى الطبيعيات ، ورسالة فى الوجود ، ورسالة فى الكون والتكليف ، وكان عالماً باللغة والفقه والتواريخ » .

وقد عدد مصنفاته واضح حواشى المقالات الاربع (ص ٢٣٠ - ٢٣١) والاديب حسين دانش فى كتابه عمر الخيام (ص ٤٨ ٤٩) والمستشرق الالماني فريدرخ روزن فى كتابه عمر الخيام (ص ٦١—٦٢)

• رسالة فى الجبر والمقابلة طبعها العالم الجليل المسيو ويكه فى باريس سنة ١٨٥١

• رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة ليدن .

• الزيج الملكشاهى ، كشف الظنون (الزاى المعجمه) .

* رسالة فى الطبيعيات، ذكرها الشهرزورى .

* رسالة فى الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن مؤيد ، والنسخة محفوظة فى (بريتش ميوزيوم) وقد كتب فى صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام ، كذا ، الكليات الوجود .)

* رسالة فى جواب ثلاث مسائل وفى كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم نشرها محى الدين صبرى مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) .

* رسالة فى الكون والتكليف وقد ذكرها الشهرزورى وهى رسالة فلسفية كتبها جواباً على سؤال عبد الرحيم النسوى ونشرها محى الدين صبرى .

* رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما محفوظة فى مكتبة (كوتا) فى المانيا .

* رسالة فى لوازم الامكنة بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم .

فلسفته

يقول بعض الباحثين ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهتراً ، ماجناً ، شهوانياً ، فناء فى حب ذاته وشهواته ، زائغاً عن التقاليد ، متمرداً على الاخلاق ، جاعلا هدفه الاسمى فى الحياة اجتلاب السرور والانغماس فى الملذات ، وانه لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا فى نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة ادمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقرباناً للانسانية المفعمة بالاتراح المليئة بالاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس ، وان آراءه فى الحياة غير مستندة الى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس ، وان افكاره الفلسفية مبتنية على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعى ، وما هو الا شاعر ليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة .

اجل هذا هو الواقع الذى لا شك فيه والحق الذى لا مراء فيه فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط فى نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الاقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذى جعل بعض العلماء ان يشبهوه « بأبيكور ولوقره جيوس » وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون

ان غاية الحيـــاة ان يتطلب الانسان الامور التى تولد « اللذة » واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بان أساس حياته هو « الاحساس » !

واذ كان التفتيش عن العلة يدلنا على المعلول ومعرفة السبب تعرفنا بالمسبب وجب علينا ان نبحث فى السر الذى حدا بالخيام أن يظهر بهذا المظهر الشائن وان نتطلب الدافع الذى دفعه الى ذلك .

ان للسرور سبباً وللالم علة ولابد لمن يشذ عن العادات والتقاليد ويعتقد اعتقاداً خاصاً لا يلائم اعتقاد الجمهور من علل واسباب اورثته هذ الشذوذ وذلك الاعتقاد ، ولكل حادث سبب ولكل حركة عامل فما السبب الذى جعل الخيام ان يظهر بهذا الشكل ويدعو الى خرق النواميس الادبية والاخلاقية ؟ أنقص فى تهذيبه ؟ أم اختلال فى تفكيره ؟ ام اضطراب فى مزاجه العقلى ؟ ام لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وانما هو امرؤ خليع سافل الطباع ذو مزاج شهواني دفعته نفسه المنهومة الى اللذائذ فخاض الموبقات والمنكرات والمهلكات ؟

ان الذين اصدروا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسى من هذه الناحية لم يلتفتوا الى تحقيق اشياء اخرى فى الناحية الاخرى من رباعياته لقد اكثر الخيام الذم من الحياة وصورها ابشع صوره حتى لقد تمنى العدم وود لو انه لم يكن مخلوقاً . قال :

كر آمدنم بمن بدى نامدمى
ورنيز شدن بمن بدى كي شدمي

به زآن نبدى كه اندراين دير خراب
نه آمدمى ، نه شدمي نه بدمي

لو كان مجيئي باختيارى لما جئت ولو كانت خلقتى بيدى لما رغبت ان اخلق الافضل اننى لم اكن فى هذا العالم ولم اجئ اليه ولم ابق فيه .

وقال :

جون حاصل آدمى دراين جاى دو در
جز درد دل ودادن جان نيست دگر
خرم دل آنكه يك نفس زنده بود
وآسوده كسيكه خود نزاد ازمادر

لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح . فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذى لم يولد من امه !

وقال :

جون حاصل آدمى دراين شورستان
جز خوردن غصه نيست يانندن جان
خردم دل آنكه از جهان بيرون شد
آسوده كسيكه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها اولم يجىء اليها !

اليس عجيباً ان يذم الخيام الحياة وان يفيض بالنقمة عليها فيسميها دار الفتن والعذاب ويتمنى العدم فى هذا « الدير الخرب » وان يقول هنيئاً لمن عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم يولد من امه !

اليس غريباً ان يصب الخيام نقمته على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس الى الملذات والمسرات واغتنام الفرص فى الحيـاة والاخذ باللهو والمرح من غير اهتمام بالتقاليد والتفات الى ماهو حرام او حلال اخلاقا او عرفا فما سبب هذا التناقض ؟ ماسبب هذه الابتسامة الحلوة وهـذا الوجه العبوس ؟ ماعلة هذا الادعاء وما سبب هذا الزعم ؟

***

ماكان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية ، وما كان مختل التفكير فان علمه وادبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقى وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وانه كان اية فى العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع اذ لايكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء وقد عاش حصوراً عزباً لم يتزوج ولم يذكر احد بانه كان مدمناً للخمرة سكيراً مع كثرة تغزله بها وانما الخيام قد دعى الناس الى اللـذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة فلسفية هى وليدة تفكيره وشعوره ومـذهبه الفلسفى فان للرجل تفكيرا خاصاً ومسلكا معلوما فى الحياة فلم يكن الخيام عدو النـاس ولا صديقهم ولم يطلب لهم لاخيراً ولا شراً وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة وقد جاشت فى صدره نفثات هى حقائق ناصعة ومقاصد

عالية ومعاني جليلة البسها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميـلة ابرزها بصدق واخلاص ونية حسنة.

اذا فلم يكن عمر الخيام شاعراً مستهترا ، ماجناً ، شهوانياً ، مادياً ، كما ادعى ذلك « فرناندهانرى و فتبزجرالد » وغيرهما وانما كان حكيما مفكراً له عقيـدة خاصة تعبر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفى وان لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضوجها اسبابا سابينها فى بحثى عن عقيدته الفلسفية . ومع ذلك فاني اثبت هنا الان ثلاث رباعيات جوابا على الذين يوصمونه بالاستهتار والسفه ليتبينوا السبب الذى من اجله يدعو الخيام الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة : قال :

روزى كه دو مهلتست ميخورمي ناب
كاين عمر دو روزه برنكردد در يـاب!
دانى كه جهـان روبخرابى دارد
تونيز شب ور روزهمى بـاش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لايعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب فكز انت ايضا خراباً ليلا ونهاراً . وقال :

عمرت تا كي بخود پرستى كذرد؟
يـادرپى نيستى وهستى كذرد؟
مي نوش كه عمرى كه اجل درپي اوست
آن به كه بخراب بامستى كذرد

حتى م يمر عمرك فى عبادة نفسك او فى الافتكار فى الوجود والعدم
اشرب المدامة فان العمر الذى وراءه المنية يحسن ان ينقضى فى النوم
او السكر وقال :

اى انكه نتيجهٔ جهار وهفتي
در هفت وجهار دائم اندر تفتى
مي خوركه هزار بار بيشت كفتم
باز آمدنت نيست جور فتى رفتى

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات الى متى انت تتألم بالتفكر
فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت
ذهبت اى — ذهابك ذهاباً ابدياً —

اظن الان قد بان السبب الذى من اجله كان يدعوا الخيام الى الخمر
بان عريان صريحاً كالشمس وسوف احلل هذا السبب اكثر من ذلك
فيما بعد والان ابحث فى مصادر فلسفته

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام فى القرن الخامس الهجرى وكتب الفلسفة اليونانية
شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس ، وافلاطون ، واقليدس ، وبطلتيموس ،
وجالينوس ، وفيثاغورس وزينون وابيكور فى الفلسفة الطبيعية والالهية
والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق
والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس والجدل محتدم حول آراء السوفسطائيين

والكلبيين والمشائين والرواقين وغيرهم من المذاهب الفلسفية هذا من
جهة ومن جهة اخرى فان الخيام قد وجد فى عهد نضج فيه علم الكلام
واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية وشاعت
آراء الباطنية وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون
واحتشدت المدارس بطلاب العلم وظهرت رسائل اخوان الصفا الجمعية
السرية وتعددت الفرق والطوائف وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر
الاطباء والفلاسفة فالف ابن القفطى وابن ابى اصيبعة كتباً فى تراجمهم
ووضع الشهرستانى كتاب الملل والنحل واحصى فيه عدد الفرق
مبينا حججهم وادلتهم العلمية وظهر ابو نصر الفارابي وابو على بن سينا
واشتد النزاع بين الدين والفلسفة فوضع الامام الغزالى حجة الاسلام
كتبا فى الرد على الفلسفة وعظم امر التصوف وكثر القائلون بالحلول
ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بارائهم الحرة التى
لاتلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة وكان نصيبهم السيف والقطع وصفوة
القول فان حظ الخيام اوجده فى عصر زاهر عظيم من الوجهة العلمية !

وقد دلت مؤلفات الخيام فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية على
اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقد بان
الخيام قد استقى علومه وآراءه الفلسفية من المصادر الاتية :

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب

الفلسفية اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على على رغبتهم فيها وكان الجدل حامى الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها وتولع بها وقد اخبرنا القفطى عن ذلك بقوله « يعلم علم يونان . . . » وهذا لرواية تدلنا على اضطلاعه منها واتقانه اياها . وقد اشار القفطى بان له آراء خاصة بها بقوله « ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية » وما القواعد اليونانية الا نظريات الفلاسفة اليونانيين وآرائهم فى الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غير ذلك ولكن عدم رغبة الخيام فى التاليف وضنه بالتصنيف حال ويا للاسف دون اطلاعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال فان عمر الخيام قد تاثر مزاجه بالفلسفة اليونانية خصوصاً بفلسفة (ابيكور) ورأيه فى « اللذة » كما نطقت بذلك رباعياته .

رسائل اخوان الصفا

اخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى منتصف القرن الرابع فى البصرة على مايروى والفوا جمعية علمية سرية ووضعوا رسائل عظيمة الشان وهى احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة فى عصرهم وكان غرضهم من ذلك كما زعموا غرضاً نزيهاً وهو انقاذ الشريعة من الاوهام والاباطيل والضلالات اذ كانوا يرون ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وذكروا

فى اول هذه الرسائل « ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا فى علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها ، حرفها وغيرها ، حتى انغلق على الناظر فيها فهم معانيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى اغراضهم فيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ فى احدى وخمسين رسالة » والحق ان هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئيها وتوغلهم بالعلوم المعروفة فى عهدهم وقد ذكر لنا القفطى حديث ابي حيان التوحيدى المتوفى نحو سنه ٣٨٩ هـ عن اخوان الصفا وامتداحه اياهم حتى ظن — وقد يكون ذلك — انه هو احدهم لقوله « ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة » وقد اضرت رسائل اخوان الصفا بقدر ما نفعت .

ويعتقد شيخنا الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ان اخوان الصفا جماعة من الباطنية المعتدلة كما يعتقد ان كلا من ابي العلاء المعرى وعمر الخيام كان باطنياً .

واجزم بان عمر الخيام قد امعن النظر فى رسائل اخوان الصفا امعاناً دقيقاً ، لان لهجته وتقريره فى رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم وجوابه عن ما اورده اصحاب مذهب الجبر ورأيه فى رسالته الكون والتكليف تكاد تكون عين لهجة اخوان الصفا فى رسائلهم بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذكرها وبين رسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير وبسط الحجة ولولا ضيق المجال لقارنت بين رسائله ورسائل

اخوان الصفا مستخرجاً ما اخذه الخيام منها.

ابن سينا

صرح الخيام مرة انه تتلمذ لابى على بن سينا بقوله « ولعلى ومعلمى افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابو على بن سينا ... » ص ٩٦ الكتاب، وسواء صح هذا الخبر او لم يصح فان عمر الخيام قد تهافت على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً وامعاناً واحاط بجميع آرائه وافكاره فى الفلسفة وعلم الكلام والمنطق خصوصاً كتبه الشهيرة (كالقانون، والشفاء والنجاة) وكتابه الثانى خاص بالفلسفة.

وقد روى لنا البيهقى نقلا عن ختن الخيام الامام محمد البغدادى عند ما قص عليه خبر وفاته انه كان يتأمل فى كتاب (الشفاء) « ص ٩ الكتاب » وقد ايد هذه الرواية الشهرزورى بقوله وكان يتأمل الالهيات من (الشفاء) « ص ١٣ الكتاب »

ولابن سينا شعر جميل بالفارسية والعربية يدل على قوة بيانه بهما وقد عثرت له على رباعية بالفارسية يرد بها على الذين كانوا يطعنون فى عقيدته منزهاً نفسه مما كانوا يلصقونه به.

قال: كفر چومنى گزاف وآسان نشود
محكمتر أز ايمان من ايمان نشود
در دهر چومن يكى وآن هم كافر
بس درهمه دهر يك مسلمان نبود

ليس من الجزاف والسهل جحودى وكفرى اذ لا يوجد ايمان احكم

واقوى من ايمانى فى الدنيا نظيرى واحد وذلك كافر ايضاً ؟ اذاً فلا مسلم فى هذه الدنيا.

وقد اشتهرت قصيدته العينية بالعربية اشتهاراً عظيما وفيها من المعانى الجليلة والمقاصد العالية والآراء الحكمية ما تستحق لاجله الخلود.

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع

الباطنية

ذكر صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ مير خنده بان عمر الخيام قد تتلمذ فى عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح فى نيسابور فى مدرسة الموفق النيسابورى وذكرنا الاسباب التى جعلت بعض الباحثين ان يحجموا عن قبول هذه الرواية وقد ناقشناها فى كتابنا ص ٢٥ وقلنا باننا قد وقفنا ازاء هذه الرواية وقفة المتردد الذى يشك تارة ويجزم أخرى لكننا لم نشك قط فى ان عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح لان الحسن قد توفى سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفى بين سنة ٥١٧ هـ

و ٥٣٠ هو بناء على ذلك فليس هناك من ريب فى ان الخيام كان معاصراً للحسن .

* * *

بيد ان هناك مشكلة لم يحلها احد بعد وهى ما اذا كان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر وانخراطه فى سلك المحفل السرى واخذه المبادئ الاسماعيلية ام لا ؟

اننا لم نهتد الى الان الى حل هذه المشكلة ولم نعثر على نص او وثيقة تاريخية تؤيد لنا وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر وليس المهم فى نظرنا اجتماعهما اثناء دراستهما وانما المهم هو الاجتماع الاخير . لان التطور الفكرى الذى حصل مع الحسن الصباح كان بعد ايابه من مصر .

وفى اليوم الذى تنحل فيه هذه المعضلة الدقيقة ، يرتفع الستار الذى كان يحول بين الباحثين وبين عقيدة الخيام وينتهى تبلبل آراء العلماء فى عقيدته فلا يبقى أقل شك فى كونه كان باطنياً محضاً .

* * *

اما الان وليس عندى اية حجة تؤيد وقوع اجتماعهما فانى اجزم بصورة قطعية بان الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قوياً وتكاد رباعياته تسوقنى الى الاعتقاد بانه كان من اعظم المبشرين بتلك المبادئ الهدامة ومن اشد المناصرين لها ولعله كان من دعاتهم على انى لا أريد ان اتهم الخيام دون ان آتى بالبرهان ولا احب ان ادعى بهذا الادعاء الذى انفردت به وحدى دون غيرى من غير تدليل يؤيده واليك برهانى على ما ادعيه :

لقد تضمنت الرسالة التى بعث بها الداهية الباطنى عبيد الله بن الحسن القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي اشياء كثيرة كان اهمها :

(١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات

(٢) انكار النبوات والمعجزات والوحى

(٣) القول بقدم العالم

(٤) ابطال القود فى المعاد والنشر من القبور

(٥) كون الجنة نعيم الدنيا

(٦) ووصايا اخرى وكلها ترمي الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الالحاد « الكتاب ٤٩ — ٥٠ »

هذه هى المبادئ التى كانت تسير عليها الباطنية ومن يدقق النظر فى رباعيات الخيام يجد انها تتضمن جميع هذه المبادئ الا ما كان من امر انكار النبوات والمعجزات والوحى والظاهر ان الخيام كان يتجنب مهاجمتها خوفا على حياته وابتعاداً من تعريض نفسه للمخاطر اما اجتراؤه على اباحة شرب الخمر وجميع الملذات والقول بقدم العالم من طرف خفى وابطال القول فى المعاد والنشر وانكار الجنة والنار فلانه محتمل التأويل على الطريقة الصوفية خصوصا التغزل بالخمرة فانه مباح لا ضير فيه عند ارباب هذا المذهب اذ كانوا يريدون به « خمرة الحب الالهى » و « لذة السكر المقدس » وفعلا قد اول الصوفية رباعيات الخيام وقلبوا هذه المعانى الى معانى عرفانية — كما اصطلحوا — على ذلك وقد اخبرنا القفطى بما وقع اذ قال « وقد وقف متأخرو الصوفية على شىء من ظواهر شعره

فنقلوها الى طريقتهم ونحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم . . .»

على ان القفطى قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه وما كان ينزع اليه الخيام فلم يتردد فى الرد عليها بقوله « وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع» — الكتاب ١٤ — وفيما يلى اورد بعض رباعياته المتضمنة لبعض المبادىء الباطنية التى استطاع الخيام ان يبثها غير هياب ولا وجل قال :

یك جام شراب صد دل ودین ارزد
یك جرعه مى مملكت جین ارزد
جزباده ناب نیست در روى زمین
تلخى كه هزار بار شیرین ارزد

ان كاسا من الخمرة تعدل الف قلب ودين وان جرعة منها تساوى مملكة الصين ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرة التى تفضل الحلو الف مرة

وقال :

تا زهره وماه در آسمان كشت پدید
بهتر زمیى ناب كسى هیچ ندید
من در عجم زمى فروشان كایشان
به زانچه فروشند جه خواهند خرید

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى المساء مارأى احد احسن من الخمرة الصافية ياعجبى من بائعى الخمر اى شئ سيشترون احسن مما يبيعون؟

وقال :

اى دل تو باسرار معمى نرسى
در نكته زبركان دانا نرسى
اینجا بمى وجام بهشتى میساز
كانجاكه بهشت است رسى یانرسى

ايها القلب انت لاتصل الى الاسرار المعماة ولا تفقه نكات الالباء الفاهمين اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنة من الخمر والكاس فانك لاتعلم اتنالها فى تلك ام لا ؟

وقال :

جامى ومى وساقى برلب كشت
بهتر زبهشتى كه خبر بودشت زشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از كس
كه رفته بدوزخ وكه آمد زبهشت

كاس وخمرة وساق فى جنب روضة خير من الجنة التى وعدتها لا تسمعن من احد حديث الجنة والنار امن ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

وقال :

ما لعبتكا نیم وفلك لعبتباز
از روى حقیقتى نه از روى مجاز
بازیچه كنان بدیم بر نطع وجود

رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن الاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

* * *

وقال :

در دائره كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهـــايت بيداست
كس مى نزند دمى درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التي جئنا منها ونذهب اليها لا أحد يستطيع ان يقول من أين هذا المجيء والى أين هذا الذهاب .

* * *

أرأيت كيف يحض الخيام على الخمر والملذات وينكر الجنة والنار والمعاد و يصرح بقدم العالم بقوله « لا بداية ولا نهاية » لهذا العالم وانما المصير الى العدم ؟ الا ترى معي ان في هذه الرباعيات مسحة من العقائد الباطنية ؟ والان الا تعتقد معي بان الخيام متأثر بهذه المبادئ على الاقل ؟!

موضوع فلسفته

درس الخيام مواضيع كثيرة وبحث في هو اضيع شتى وقـــد تناول بفلسفته ، اتناول غيره من المفكرين فتطرق في بحثه عن الحياة وما فيها وخاض المواضيع الطبيعية والرياضية والالهية والعمليـــة وتكلم عن المادة والزمن والفلك والاله والجبر والتناسخ والبعث والدنيا والعدم ومصير الجسم بعد الموت .

المادة والزمان

رأى الخيام في المادة والزمان فرأى سائر الفلاسفة الذين كانـــوا يقولون في قدم المادة والزمان وقد اكثر القول غير مرة بأن لا بداية ولا نهاية لهذه الدنيا التي جئنا منها ونذهب اليها ورأيه هذا صريح في قدم المادة وخلودها وهو يذهب الى ان الاجسام متألفة من مادة واحدة واشكال وصور تختلف عليها والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان ايضا .

قال : آنها كه كهن شدند وآنها كه نونـــد
هريك يس از آمدن يكايك بروند
اين كهنه جهان به كس نماندجاويـد
رفتند وروند وديگر آيند ورونـد

اولئك الذين هرموا والذين لا تزالون احداثا سيذهب كل منهم فرداً فردا بعد مجيئه . لا يخلد في هذه الدنيا القديمة احد ذهبوا و يذهبون ويأتي غيرهم ويذهبون .

وقال این کهنه سراکه عالم اورانام است
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بزمیست که وامانده صد جمشید ست
قصریست که تکیه کاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مأية بهرام

الرد

كان بعض علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويوصمونه بالعقيدة الدهرية وكانوا يستدلون على واجب الوجود بالاستدلال على كون العالم حادثاً غير قديم لان الشريعة الاسلامية جائت بعقيدة التنزيه وتقوم هذه العقيدة على ان الله ازلى ليس له ابتداء وانه اوجد العالم من العدم فهو لذلك — اى العالم — حادث اما القول فى قدم المادة — اى قدم العالم — لا يناقض وجود الله لان الله واجب بذاته ولان لهذه الموجودات علة وهى ملازمة له كما يلازم المعلول علته وحيث قد ثبت بان الاشياء صدرت عنه صدور المعلول عن علته وجب القول بقدم الاشياء ولما كان واجب الوجود ازلياً بالعلة فالاشياء ازلية بالمعلول وقد سلك الخيام طريق الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية وهو معتقد بأله هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين لذلك قال :

قال : كفتى كه ترا عذاب خواهم فرمود
هركز من ازين خبر هر اسم نفزود
جائى كه توئى عذاب نبود آنجا
وانجا كه تونيستى كجا خواهد بود

تفضلت قائلا : انى سوف أعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر فان المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه .

قال : من بنده عاصيم رضاى توكجاست
تاريك دلم نور وصفاى توكجاست
ماراتوبهشت اكر بطاعت بخشى
اين بيع بود لطف وعطاى توكجاست

انا العبد العاصى فاين رضاؤك انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك ان كنت تهبنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع فاين فضلك وعطاؤك

قال : نا كرده كنه درجهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد جون زيست بكو
من بدكنم وتو بد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتو جيست بكو

قل لى من هو الذى لم يرتكب ذنباً فى الحياة ومن ذا استطاع ان يعيش من غير ذنب ياتيه اذا كنت تجزينى السيئة بالسيئة فما هو الفرق بينى وبينك .

قال : يارب خردم درخور اثبات تونيست
واندیشهٔ من بحز مناجات تونيست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تونيست

ليس لعقلی من السعة لاثباتك . انا لا افتكر الا فی مناجاتك انا لا اعرف ذاتك كما هی ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

قال : کر کو هر طاعتت نسفتم هر کز
کرد کنه از جهره نرفتم هر کز
تو ميد نيم زبارگاه کر مت
زيراکه يکيرا دونکفتم هر کز

ولو انی لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الاثم عن وجهی لست قانطاً من باب كرمك لانی لم اقل قط عوض الواحد اثنين

* * *

فالظاهر من الرباعيات التی ادرجناها ان الخيام كان معتقداً مؤمناً بوجود اله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حانق.

ورب معترض يقول : اننا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر منكراً وجود حياة اخرى وقد نطقت بذلك رباعياته فكيف نوفق بين اعتقاده بالله وبين انكاره البعث والنشر وغير ذلك مما صرحت به الشرائع السماوية فالجواب على ذلك هو : قد ينكر الانسان الشرائع والنبواب والوحی ولا ينكر وجود الاله . والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود .

الجبر

صرح الخيام فی رباعياته بعقيدته فی الجبر مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون وما فی الكون من افراد وجماعات وقال غير مرة بانه دخل هذه الدنيا مضطراً كارهاً وخرج منها مرغماً كارهاً ولو استشير ما ارادولو خيرما اختار فهو لذلك لا يطمئن الى الاختيار وبناءً عليه فهو جبری بحت

* * *

ومذهب الجبر قديم جداً وقد اثبتته الشرائع كما فرغت الفلسفة من اثباته والقرآن طافح بالايات التی نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منی لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) (انك لاتهدی من احببت ولكن الله يهدی من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمی)

* * *

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عند العبد ويثبتون القدر و يقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق فی الانسان مقدرة متعلقة فی ذلك الفعل ولا تأثير لتلك المقدرة على الفعل ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر فی الفعل و يقولون ان الله مالك فی خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل فلو ادخل الخلائق اجمعين الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جوراً بل هو فی كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف فيما بملكه المتصرف .

واول من صرح بهذا الرأى هو جهم بن صفوان (١) وهو من الجبرية الخالصة . قلنا ان الفلسفة قد فرغت من اثبات الجبر وذلك لان الاختيار (٢) اما ان يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها اولا ، فان تكن الاولى فهو الجبر . اولا يمكن ان يتخلف المعلول عن علته . ولا ان تحول النتيجة عن مقدمتها واذاً فادعاء الاختيار ليس الاغروراً ، وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التى قدمناها ، واصبح العالم ملعباً تختلف فيه المصادفات وهو ما لا شك فى بطلانه . اذاً فليس عن الجبر ، محيد ، ولا عن الاضطرار مزحل . ومن مصادر الجبر الايمان بشمول القدرة والعلم الالهيين فان شمول القدرة يقتضى ان لا يكون فى هذا العالم شئ الا اذا تعلقت به قدرة الله . فاذا فعل الانسان شيئا فاما ان يكون مختاراً فيه ، او غير مختار فان يكن مختاراً فهذا الفعل واجب. وان لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم اصل القدرة ، وان يكن غير مختار فهو الجبر الذى لا شك فيه ، اذاً فالدين والفلسفة يتظاهران اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك بعض رباعياته التى تضمنت عقيدة الجبر

قال: من مى خورم وهركه جومن اهل بود
مى خوردن او نزد خرد سهل بود

(١) الملل والنحل للشهرستانى ص ٦٠ طبع ليبسيك

(٢) هذا رأى العلامة الكبير الدكتور طه حسين ، ذكرى ابى العلاء ص ٣٥٢ .

مى خوردن من حق زازل ميدانست
كرمي نخورم علم خدا جهل بود

انا اشرب الخمرة ويشربها كل من هو اهل لها مثلى فان شربه لها ليس بصعب فى نظر العقل لأن الله كان يعلم منذ الازل باني ساشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا — خطأ —

قال: برر هكذرم هزار جا دام نهى
كويد كه بكيرمت اكر كام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكمم توكنى وعاصيم نام نهى؟

تضع الاشراك فى الف مكان فى سبيلى وتقول اذا وقعت فيها فانى مبيدك لا تخلو ذرة فى العالم من سلطانك انت تقدر على الحكم وانت تنعتنى بالعاصى ؟.

قال: از آب وكلم سر شته من جه كنم
وين بشم مرا تو رشته من جه كنم
هرنيك وبدى كه ازمن آيد بوجود
تو بر سر من نوشته من جه كنم

ماذا افعل يا الهى وانت الذى جبلتني من ماء وطين وانت الذى غزلت صوفي انت كتبت على كل ما يصدر منى من خير وشر فى هذا الوجود فماذا افعل ؟

يزدان جو كل وجود ما مى آراست
دانست زفعل ماجه بر خواهدخواست
بى حكمش نيست هر كناهى كه مراست
بس سوختن قيامت از بهر جه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التى ستصدر منا ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه اذاً فلماذا يصلينا فى السعير يوم القيامة ؟

قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم از جهان جيزى نفزود
رفتم بالراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم منى الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا

***

وقد عثرت على تصريح صريح لعمر الخيام فى الجبر بصورة لايحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : (١) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون ينفى الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟

وقد اجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الاسئلة الثلاث تحليلا علمياً فلسفياً دقيقاً وكان جوابه عن الجبر عريان صريحاً فقد قال :ـ

(١) جامع البدائع ص ١٧٥- ١٨٠

ولعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادى النظر وظاهر الحال من غير ان يتلجلج فى هذيانه ويتغاغل فى خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق .

وتصريحه هذا كاف للتدليل على انه كان جبرياً معتدلا .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية وظهر فى صدر الاسلام وكانت بعض الفرق من الغلاة تدين به كاصحاب عبد الله بن سبا الذى قال بالوهية على عليه السلام ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص امامة وربما تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت .

ومذهبهم هو ان الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر . وفى كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم .

وقد عثر المستشرق البروفسور « زوكوفسكى » فى تاريخ الالفى لمؤلفه « احمد بن نصر الله تتوى » على رواية استدل بها على رسوخ عقيدة التناسخ فى نفس عمر الخيام .

وتتلخص الرواية فى انه كانت فى نيشابور مدرسة قديمة وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح وكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشى فى فناء المدرسة مع

جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف فى باب المدرسة محجماً عن الدخول ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ فى اذنه هذه الرباعية :—

ای رفته وباز آمده بل هم کشته
نامت زمیان نامها کم کشته
ناخن همه جمع آمده وسم کشته
ریش از بس نون در آمده دم کشته

ای : — یا ایها الذی ذهب وعاد مرة اخرى وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء وقد اجتمعت اظافيرك وصارت ضلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك وصارت ذيلا .

وبعد تلاوة هذه الرباعية دخل الحمار المدرسة ، فسألوا من الحكيم السبب قال ان الروح التى تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح استاذ فى هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم ان الاصدقاء قد عرفوه دخل . انتهى .

هذه هى الرواية التى وردت فى تاريخ الالفى وقد عثر عليها المستشرق البروفسور « زوكوفسكى » وهى ولا شك من الروايات المختلقة التى لا ظل لها من الصحة ابداً ومكذبة من وجوه اولا : لم يذكر لنا احد بان الخيام كان استاذاً فى مدرسة نيسابور . ثانياً : الخيام انكر الحشر وقال بالعدم ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ . ثالثاً : اذا صحت هذه الرواية فلا اشك فى ان خياماً اراد بذلك المزاح والسخرية ومفاكهة

تلاميذه وعلى كل فان الخيام برئ من هذه التهمة وعقله الراجح ارفع من ان يؤمن بفكرة الاقوام المنحطة .

البعث

لا يرتاب ارباب الديانات فى البعث بعد الموت والقران نزل حاملا عقيدة حشر الاجسام وقد جاء فيه ذكر يوم القيمة مشفوعاً بالوعد والوعيد والمسلمون مختلفون فى كيفية وقوع الحشر فقسم يقول بحشر الاجسام وبعض يدعى ببعث الارواح دون الاجسام اما ارباب المذهب المادى فانهم ينكرونه بتاتاً والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام وبعث الارواح لكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت الى عالم عقلى ، والقدماء من المصريين اعتقدوا بخلود الروح ورجوعها الى الجسد فى الدنيا ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام من البلى .

وكان الخيام منكراً للبعث وقد فهمنا ذلك عند بحثنا فى مصادر فلسفته اذ قد برهنا على انه كان متأثراً بالعقائد الباطنية وقد صرح فى كثير من رباعياته بان فكرة البعث والمعاد وهم وخيال لا حقيقة لها والذى يخاطب الناس بقوله : « انت است ذهباً حتى اذا دفنوك اخرجوك وانت ذهب ايضاً » هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد .

الروح

من المشاكل العظيمة التى لم يهتد الى حلها الناس قديماً وحديثاً

مشكلة الروح والجدل حول الروح قديم جداً وقد كثرت فيه الاقوال والمعتقدات وذهب كل فريق فيه مذهباً خاصاً وكان قد بحث اولا فى ماهيته وهل هو متحيز،او حال فى التحيز ام موجود غيرمتحيز ولا حال فيه ؟ ثانياً أقديم هو أم حادث ؟ ثالثاً أيبقى بعد فناء الاجسام أم يفنى ؟ رابعاً ما حقيقة سعادة الارواح وشقاؤها فقيل انه جزؤ لا يتجزأ من اجزاء هوائية فى القلب وقيل هو الدماغ وهو جزؤ لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة فى الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هو الدم المعتدل اذ بكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم .

والامام الغزالى يقول: الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى اناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم فى العالم بل هو جوهر لانه يعرف نفسه وخالقه و يدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ وشئ لا ينقسم . والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا .

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة فى رباعياته الامر الذى كان يدل على انه كان يعتقد بوجود الروح لكن الشئ الذى لم نفهمه هو انه هل كان معتقداً بخلود الروح اعتقاد الافلاطونيين ام لا : قال

دريا به كه ازروح جدا خواهى شد
در پردهٔ اسرار فناخواهى شد
من نوش ، ندانى ز كجا آمدهٔ
خوش باش ! ندانى بكجا خواهى شد

افق ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار اشرب الخمرة ! انك لاتدرى من اين اتيت واسعد ! انك لاتعلم الى اين تذهب

قال :

ازتن جوبرفت جان باك من وتو
خشتى دوبهند برمغاك من وتو
وانكه زبراى خشت كور دكران
در كالبدى كشند خاك باك من وتو

حين تخرج من جسدى روحى وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدى ولحدك ثم لاجل لبنتين لقبر اخر يضعون ترابى وترابك فى القالب (١)

(١) وقد وقع لاستاذنا الشاعر الفيلسوف حادث خطير فى مصر قبل خمس سنوات وشيخنا مادى بحت لايطمئن الى الاعتقاد بخلود الروح وقد صرح بعقيدته هذه فى كثير من قصائده الخالدة وقد نشر اثناء بقائه فى مصر قصيدة تحت عنوان « الدمع ينطق » احدث بها هزة فى الخواطر فهب بعض الازهريين وعلى رأسهم عالم ازهرى اسمه « الشيخ قطيط » وهاجموا الزهاوى نثراً ونظماً فانتصر له اديب مصر الفذ الاستاذ عباس محمود العقاد الملقى فى ظلمات السجون اليوم ولم تنطفئ لهيب هذه الفتنة الا بعد اياب الاستاذ الى بغداد وهاك بعض ابيات من القصيدة التى انكر فيها الروح انكاراً صريحاً قال :

وسائلة هل بعد ان يعبث البلى باجسادنا نحيا طويلا ونرزق
فقلت مجيباً انني لست واثقاً بغير الذى حسى له يتحقق
وهبهات لا ترجى حياة لميت اليه البلى فى قبره يتطرق
تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

الدنيا

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد اكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذى زهد فى عينه الدنيا وكره اليه الحياة، قال :

جون مردن تو مردن يكبارگى است
يكبار بر اين جه بيجارگى است
خونى ونجاسئى ومشئى رك وبوست
انكار بنود اين جه غمخوارگى است

لما كان موتك مرة واحدة . مت مرة واحدة . ماهذه المسكنة ؟ دم ونجاسة وصم من عظم وجلد فما هذه المحنة من اجل شئ تافه حقير .

قال : دنيا بمراد رانده كير اخرجه
وين نامه عمر خوانده كير اخرجه
كيرم بكام دل بماندى صد سال
صد سال دكر بمانده كير اخرجه

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد . وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله . فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام . وعش بعدها مائة اخرى فماهى النتيجة .

قال : دنيا نه مقام تست ، نه جاى نشست
فرزانه در اوخراب اولتير دمست

بر اتش غم زبانه اى ميزن
زان بيش كه در خاك روى باد بدست

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة . افضل للحكيم فيها ان يكون ثملا وفانياً اسكب ماء الخمرة على نار الغموم قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

ولعل من اسباب كراهية الخيام للحياة انه كما يرى ان وضع الخليقة غير صحيح ولا مستند الى اسس جيدة وان نظام الحياة الحاضر لا يجلب السعادة والسلام . وقد تمنى فى احدى رباعياته ان تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمه ويبنى فلكا جديداً يبلغ فيه الاحرار مرامهم بسهولة .

قال : كر برفلكم دست بدى جون يزدان
بردا شتمى من اين فلكرا زميان
از نو فلك دكر جنان ساختمى
كآزاده به كام دل رسيدى آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنة خالق لقضيت على هذا الفلك ولخلقت فلكا غيره على ان يبلغ المرء فيه مرامه بدون عناء .

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين باعتساف وكم اوصى الكواز بالرفق وكم صاح بالناس ان يخففوا الوطأ فى مشيهم على الارض قائلا ان الجام الذى تشربون به الخمر والكوز الذى تشربون منه الماء والتراب الذى تطأونه باقدامكم هو من عين احور اغن

وخد مليحة عذراء ورأس كيخسرو وكف افريدون وهو فى كل ذلك يقدم موعظة للمغرورين فى الحياة مبيناً لهم مصيرهم وهو فى اثناء ذلك ينعى جسده ويبكى جثمانه بحرقة وألم : قال

این کوزه‌جو من عاشق زاری بودست
در بنـــد سر زلف نکاری بودست
این دسته که در گردن او میبینی
دستست که در گردن یاری بودست

كان هذا الكواز مثلى صباً قد علق بفرع مليحة هيفاء وهذه العروة التى تراها فى جيدها كانت يداً تعتنق احدى الحسان

این کوزه کزان که دست در گل دارند
عقل وخرد وهوش بران بگمارنـــد
بر گل لگد وتبانجـــه تاجند زنند
خاك بدنست تـاجـه میپندارنـــد

هؤلاء الكوازون الذين ايديهم فى الطين . منحصرة عقولهم وافكارهم فيه الى متى يركلون ويصفعون الطين ، هذه اجسام حتى م هذه الظنون ؟

هان کوزه گرا بیاى اگر هشیارى
تاجنـــد کنى برگل ادم خوارى
انگشت فریدون وکف کیخسرو
برجرخ نهادهٔ جه میپنـــدارى

ايها الكواز ان كنت واعياً حتى م تهين طينة الانسان . ان الذى وضعته على الدوار هو انملة فريدون وكف كيخسرو ماذا تظن ؟

مذهبه الفلسفى

اما وقد فرغنا من البحث فى موضوع فلسفته فلم يبق سوى ان نقول كلمتنا فى مذهبه الفلسفى ونعنى بذلك نوع عقيدته واتجاه نظره فى الحياة او بالاحرى تحقيق الغاية التى كان يستهدفها والمقصد الذى كان يرمى اليه وهذا الموضوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت فى عقيدته والانصاف يحملنا على التصريح بانه من الصعب جداً اصدار حكم عادل فيه اذ ليس هناك من ادلة قوية وقرائن قطعية تخولنا ان نحكم على حكيم مفكر سلخ اعواما طوالا فى البحث والتفكير فى شؤون الحياة غير صحائف صفراء بالية تعرضت لشخصه ورباعيات هى نفثات جاشت فى صدره ففاض بها لسانه وقد طواه الردى فهرع الى احضان الابدية قبل تسعة عصور .

قبل تسعة عصور رقد الخيام فى لحده فى نيسابور ولم يترك بعد رحلته الابدية غير بضع رسائل ورباعيات تناولها الباحثون فى حياته وادبه واتخذوها حجة عليه ومداراً للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفى .

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون فى ادب الخيام وذهبوا فى عقيدته مذاهب شتى ورجموه بالظنون فمن منكر لشخصه ومن مدع انه كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا ومن زاعم انه كان صوفيا يتغنى بجمال الله ثملا بخمرة الحب الالهى المقدس وقائل انه كان مرتابا متشائماً الى غير ذلك من الاقوال والمدعيات وكل ما لديهم من سند للحكم عليه فهو اقواله ورباعياته .

ولكن ماقيمة هذه الرباعيات فى اصدار الحكم عليه ، وليس لنا من العلم مايحقق ان الرباعيات المتداولة الان بتمامها هى لعمر الخيام. وانها نتاج قريحته وحدها وانها بريئة من شوائب الدس والانتحال

وقد بينا عند بحثنا فى رباعياته اختلاف العلماء الباحثين فى عددها « راجع ص٨٩ من الكتاب ».

ولنسلم جدلا بان لا اثر لاقل شبهة فى كون هذه الرباعيات كلها له من غير شائبة فيها للدس والانتحال فهل يصح ان تعتبر حجة على الخيام جريا على القاعدة العلمية القائلة « يؤخذ المرء باقراره » ؟

الجواب على ذلك : كلا ! واليك السبب

***

سمعت الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ينشد :

عبدتك لاادرى ولا احد درى ... امرك ام صدر الطبيعة اوسع
عبدت اسمك المحمود فى الليل والضحى ... اذ الشمس تستخفى اذ الشمس تطلع
فايقنت ان الكون بالله قائم ... وايقنت ان الله للكون مبدع
وانك معنى والخليقة لفظه ... وانك نور والخليقة برقع

—٥—

ثم اشتهر عنه بيتان وقد سمعناه يقرأهما متحفظاً محتاطاً والبيتان لايشم منهما الاعتقاد بالله والايمان به.

لما جهلت من الطبيعة سرها ... واقمت نفسك فى مقام معلل

اثبت رباً تبتغى حلا به ... للمشكلات فكان اكبر مشكل

—٥—

والان فباى القولين نأخذ وبأيهما نحتج على عقيدة الزهاوى وايمانه بالله وكيف نستطيع ان ندعى بان الزهاوى مؤمن او نقول انه غير مؤمن وبين ايدينا شعران متناقضان وباى شىء نتوسل لحل هذه المعضلة انقول ان الزهاوى ملحد لايؤمن بالله وقد اراد ان يتقى الاخطار بالابيات المتقدمة ام نقول انه مؤمن ولكنه احب ان يتعمد الكفر لاسباب لانعلمها . لاندرى ؛ والعلم لم يتوصل الى الان الى قراءة ماتكنه الضمائر وتخفيه الصدور.

***

لنرجع الى البحث فى الرباعيات كى نرى ما اذا كان فى الامكان اعتبارها حجة عليه او لا ؟

ان الشكوك التى تعترينا فى هذا الصدد فتصدنا عن اصدار الحكم عليه كثيرة واهمها انه لم يثبت الى الان بالبرهان القوى ان الرباعيات الموجودة فى ايدينا كلها لعمر الخيام ثم اننا نجهل الوقت الذى نظمها فيه . عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهواجس وخطرات كثيرة ام فى وانظمها فى عهد كهولته وفى الكهولة نضوج العقل وتواذن الفكر واستقامة الرأى ام فى دور شيخوخته وفى الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر ام نظمها خلال حياته جميعها . كل اولئك مجهول لدينا اذ ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذى نظمت فيه.

هنا اننا عثرنا على رباعيات خطها الخيام ببراعته وهبنا اننا علمنا بانه قد

نظمها فى عهد نضج فيه عقله واستقام فيه رأيه وفكره وقوى فيه منطقه وتوازنت محاكمته فهل يصح ان نستدل ونحتج بها على نوع العقيدة او المذهب الذى يدين به الخيام ؟

الجواب على ذلك : كلا . . .

ليس فى هذه الحياة شىء ثابت ، فالكون والانسان والحيوان والنبات والمذاهب والاراء والمعتقدات كل اولئك عرضة للتطور على الدوام والاستمرار وليس فى الكون حقيقة ثابتة الا الشك وقد اشتبه فى الاحكام التى يصدرها العقل واتهم بالضلال والشعور منهم اكثر منه لكونه معرضاً للاندفاعات والخلاف موجود بين الناس حتى فى المحسوس .

اذاً فما قيمة التصريح والانسان عرضة فى كل وقت للتطور وما قيمة القول والمرء يتقلب بين عشية وضحاها وفق ميوله وعواطفه اهوائه وما قيمة الرأى اذا كان الرأى وليد انفعالات نفسية عاطفية وما قيمة العقيدة اذا كان مائراه حسناً اراه قبيحاً ومائراه فضيلة اراه رذيلة وماتراه شرا اراه خيرا ؟! وليس فى ايدينا مقاييس وقواعد قطعية نستطيع ان نميز بين الحسن والقبح والفضيلة والرذيلة والشر والخير ولذلك يتعذر البت فى عقيدة اى كان فضلا عن الخيام المحاط بالغموض والابهام

وانا اهيب من ان اسند اليه امراً وكل مالديه من الحجج هو بعض قطع من شعره ـ رباعياته ـ خشية ان اسىء الى الرجل باسناد امر ليس له ضلع فيه

واذا كان لابد من ابداء الرأى فى هذا الصدد فاني احمل نفسى على ابداء رأيي وانا شاك مرتاب كل الارتياب فيما اقوله وازعمه واستغفر الخيام

فى لحده ! استغفر روحه من كل هفوة ومن كل ماانسبه اليه وهو برآ منه.

اقول : — ان الذى بدى لى من رباعيات الخيام — انه كان جم الشكوك كثير الارتياب، عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة محاطة بالهواجس والخطرات ونفس متألمة مكتنفة بالوساوس والخيالات وقد ظهرت شخصيته فى رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق مما يدفع الباحث الى الاعتقاد بانه كان « لاادرياً » .

اللاادرية

واللاادرية مذهب فلسفى يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشرى عن ادراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها وبعجز العلم اللدنى عن الوصول الى فهم هذه المجردات وكان الخيام كما قد ظهر لى من رباعياته لاادرياً يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم فى كثير من رباعياته بعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنانكه به كار عقل در ميكوشند
همهات كه جمله كار نر ميدوشند
آن به كه لباس ابلهى در پوشند
كامروز به عقل تره مي نفروشند

اولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل همهات انهم يحلبون ثور الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش .

آنانکه محیط فضل وآداب شدند
واز جمع کمال شمع اصحاب شدند
ره زین شب تاریك نبردند برون
گفتند فسانه‌ٔ ودرخواب شدند

اولئك الذين احاطوا بالفضل والادب ومن جمع الكمالات اصبحوا شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق فى هذا الليل الدامس وانما تاهوا ببعض الاساطير وناموا.

دل سر حیات اگر کاهی دانست
در مرك هم اسرار الهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فرداکه زخود روی جه خواهی دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هى لعرف ايضاً فى الموت الاسرار الالهية انت لاتعلم شيئاً وانت مع نفسك فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها!

قومي متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادیٔ در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين، وجماعة محتارة بين الشك واليقين واذا بالمنادى يهتف بهم من عالم الغيب ايها الغافلون الطريق لاهذا ولا ذاك.

يظهر مما قدمنا ان عمر الخيام كان «لاادرياً» كما نطقت بذلك رباعياته وانه قد اعترف بعجز العقل البشرى والعلم اللدنى عن ادراك المجردات غير ان لاادريته القت فى نفسه اثراً سيئاً بعث فيه روح التشاؤم وجعله ينظر الى الحياة نظر قانط وبغض الى قلبه الدنيا وما فيها فتمنى العدم وآثره على الوجود وما تمنى العدم والفناء الا لانه كان يخافهما.

***

كلنا نشعر بدافع الغريزة باننا مفطورون على حب البقاء وحب البقاء يدفعنا الى ان نحب الحياة، لما كان «الموت» آفة الحياة فكلنا نشعر باننا نخاف الموت ونفر منه واذا ذكر احدنا الموت ارتعدت فرائصه واصابته هزة عنيفة فى شعوره ووجدانه فلا ادرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من «الموت — الفناء» كل ذلك ولد فيه التشاؤم

اذاً فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء، لهذا نرى الخيام يتمنى لو انه يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مئات الالوف من السنين كما يعود العشب.

ایکاش که جای آرمیدن بودی
یااین ره دوررا رسیدن بودی
کاش ازپی صد هزار سال از دل خاك
چون سبزه امید برد میدن بودی

ياحبذا لو كان للراحة محل وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل وياحبذا لو كان هناك امل فى العودة الى الحياة بعد مات الالوف من السنين كما يعود العشب من قلب التراب

والتشاؤم مذهب قديم ظهر فى ديانة البوذيين ويقوم على ان العقل يرتأى ان كل شىء فى الدنيا سىء وردىء بل اردأ ما يمكن ان يكون وان مجموعة الشرور فى الحياة تتعدى مجموعة الخيرات وقد شملت هذا العقيدة الحياة كلها وكان اساس موضوعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والالم (١) على انه يجب التفريق بين المتشائم و بين المعتقد بفلسفة التشؤم فالخيام لم يكن متشائما ماقتاً للحياة كابى العلاء المعرى الذى انوى فى عقر داره وسمى نفسه « رهين المحبسين » ولا اشك فى ان الخيام قد متع نفسه بالملذات ولم يقصر فى اقتناص ساعات السرور لكنى اعتقد انه كان معتقدا بفلسفة التشاؤم والفرق بين المعرى والخيام فى هذا المطلب هو ان المعرى كان متشائما بنفسه ومعتقداً بفلسفة التشاؤم ايضا فتسميته لنفسه « رهين المحبسين » وانزواءه عن الناس دليل على انه يحمل روحا متألمة متشائمة وقوله بان الشر طبع وان جذوره متأصلة فى قلوب الناس دليل على اعتقاده بفلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب « لا ادريته » .

(١) ونقيض مذهب التشاؤم مذهب التفاؤل الذى نشأ على يد الحكيمين اليونانيين سقراط وافلاطون و يقوم على ان الحياة جميلة فى جميع وجوهها او على الاقل ان الخير فى هذه الحياة غالب على الشر وقد نظمت الامور بحيث ان الانسان يرى فى هذه الحياة سعادة اكثر مما يرى فيها شقاء.

وهناك من يرى ان التشاؤم والمعتقد بفلسفة التشاؤم مريض اصيب بامراض عصبية روحية عقلية او لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة او انه سليل ابوين احدهما مصاب بمرض ارثى والتشاؤم ينشأ ويتفشى فى المناطق الحارة الموبوءة والمفعمة بالاساطير والخرافات (١)

ولعل الفقر والمرض من اهم الاسباب والعوامل فى تكوين التشاؤم وفيما يلى تثبت بعض رباعيات تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم دراو فتاده جون مرغ بدام
دلخسته روزكار وآشفته مدام
سركشته درين دائره بى در وبام
نا آمده برمراد ونار فته به كام

وقتنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ مفؤدين من الدهر طائشين على الدوام تائهين فى هذه الدائرة التى لاسطح لها ولا باب لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا !

قال :

جون حاصل آدمي دراين شورستان
جز خوردن غصه نيست ياكندن جان

رأى المربي الكبير ساطع بك الحصرى

خرم دل انکه از جهان بیرون شد
آسوده کسی که خود نیامد بجهان

لما لم یکن محصول الانسان فی هذه الحیاة ذات الفنن الا الالم وعذاب النفس فطوبی لمن خرج منها او لم یجیء الیها !

روزی که دو مهلنست میخور می ناب
کاین عمر دو روزه بر نکردد دریاب
دانی که جهان رو بخرابی دارد
تو نیز شب وروز همی باش خراب

اشرب الخمرة الصافیة مرتین کل یوم فان هذا العمر الذی هو عبارة عن یومین لا یعود الیك مرة اخری انت تعلم ان مصیر الکون آیل الی الخراب فکن انت خراباً لیلا ونهاراً.

* * *

ولما رأی الخیام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحیاة وان عمر الانسان قصیر وعرضة للالام والشرور ارتأی ان خیر وسیلة تنقذ نفسه من هذه الهواجس والخطرات الالیمة والشکوك المضنیة ان ینتهز الفرص وان یتمتع ما استطاع بملذات الحیاة وان لا یحزن لما یلاقیه فی غد وان لا یتحسر علی ماخسره بالامس وان یقطع صلته من الماضی والمستقبل وان یهتم بالساعة التی هو فیها.

وصفوة القول ان شکوك الخیام ویأسه وآلامه دفعته الی الاخذ

بالفلسفة السلبیة وهی اشد خطراً من غیرها علی البشریة

قال:

روزی که کذشته است ازو یاد مکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنامده وکذشته فریاد منه
حالی خوش باش وعمر برباد مکن

لا تذکر الیوم الذی مضی ولا تجزع من غد لم یأت بعد ولا تفزع مما لم یات ومما مضی طب نفساً ولا تنغص عیشك

قال:

می نوش که عمر جاودانی این است
خود خاصیت دور جهانی این است
هنکام کل ومل است و یاران سرمست
خوش باش دمی که زندکانی این است

اشرب الخمرة لانها الحیاة الدائمة هی وحدها مزیة الدنیا. الوقت وقت ورد وطرب والاخلاء سکاری اسعد لحظة هذه هی الحیاة

قال:

این عقل که در راه سعادت پوید
روزی صد بار خود ترا میکوید

در یاب تو این یکدمه فرصت که نه
آن تره که بدروند ودیگر روید

هذا العقل الذی یطوی طریق السعادة یقول لك فی الیوم مایة مرة افق انت فی هذه الفرصة لست کالنبات الذی کلما حصدوه نبت

هذا هو رأیی فی الخیام ومنه یفهم انه کان — علی ماأظن — لا ادریا متشائماً سلبیاً ولست ادری اکان الخیام کما بینت او لم یکن علی انی لاازال شاکا مرتابا فیما قلته وانی اعود فاستغفر روح الخیام اذا کنت قدهفوت او اسندت الیه مالیس فیه .

—)٭(—

نظـــــــرائه

ابن الشبلی البغدادی

ومن الذین یضارعون الخیام فی التفکیر ویشابهونه فی الاحساس والشعور ویشارکونه فی التذمر والشك حذو القذة بالقذة حکیمان عربیان هما الشاعران محمد بن الحسن بن عبدالله الشبلی ابو علی الشاعر الحکیم البغدادی وابو العلاء المعری الشاعر الفیلسوف الکبیر

وکان ابن الشبلی معاصراً لعمر الخیام ، وقد ولد وتعلم ومات فی بغداد الا ان المؤرخین لم یکتبوا ویاللاسف ترجمة مفصلة له . وقدبذلت جهداً عظیما لاقف علی ترجمته فلم اظفر بطائل وکل ماورد عنه فی کتب المترجمین مثل ابن ابی اصیبعة وابن خلکان انه توفی فی محرم سنة ثلاث وسبعین واربعمائة ٤٧٣ ه ودفن بباب حرب وکان شاعراً مجیداً وله دیوان شعر وکان ظریفاً ندیماً مطبوعا.

وقد وجدت لابن الشبلی شعرا عربیا علیه مسحة من روح الخیام وتفکیره ونفحة من شعره وفیه نفس التذمر والشك والتشاؤم الموجود فی رباعیات الخیام فکان ابن الشبلی ترجم الرباعیات او کأن الخیام ترجم شعر ابن الشبلی وکانهما شربا هذه المعانی من معین واحد واخذا هذه الاراء من منهل واحد .

وفیما یلی ندرج بعض قطع شعریة لابن الشبلی تدل علی وجود مقاربة ومشابهة فی الشعور والتفکیر بین الحکیمین الفارسی والعربی.

غابة الحزن والسرور انقضاء ... مالحي من بعد ميت بقاء
لاليد باربد مات حزنا ... وسلت عن شقيقتها الخنساء
مثل مافي التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء
غيران الاموات مروا وابقوا ... غصصا لاتسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب ... من خطوب اسودهن ضراء
نتمنى وفي المنى قصر العمر فنغدو كما تمر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا ... اقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا ... نت ولا كان اخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب ... كرعت فيه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما ... تهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلما تمر بنا الايام ام ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون في عالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا مايصحب المهجة الجسم فقيم الشقاء وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا ... نالها الامهات والاباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فايجادنا علينا بلاء

* * *

وله :

بربك ايها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير ام اضطرار
مدارك قل لنا في اى شئ ... ففي افهامنا عنك انبهار

فطوق في الهجرة ام لا ... هلالك ام يد فيها سوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا ... باجنحة قوادمها قصار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... عراه من نوائبها طوار
هي العشواء ما خبطت هشيم ... هي العجماء ماجرحت جبار
فكم من بعده عفر وعقر ... يضير وما بلا ليل نهار
لقد بلغ العدو بنا منانا ... وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل اضل ولا خوار
فيالك أكلة ما زال فيها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الام الحوار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب اخرجه الوجار
وكانت انعماً لو ان كوناً ... نشاور قبله او نستشار
ولا ارض عصته ولا سماء ... فقيم يغول انجمها انكدار

* * *

وله :

وكأنما الانسان فيه غيرة ... متلوناً والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ... ومكلف وكأنه مختار
طوراً به تصبو الحظوظ وتارة ... حظ تحيل صوابه الاقدار
تعمى بصيرته وتبصر بعدما ... لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ... ندماً اذا لعبت به الافكار
لا يعرف التفريط في ايراده ... حتى يبينه له الاصدار

كنت فى اثناء درسى لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين عمر الخيام وابي العلاء المعرى وكنت كلما امعنت النظر فى اقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشآ فى حضن أب وام وتعلما فى مدرسة واحدة وتربيا فى بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة فى الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت اراؤهما ونظراتهما فى الكون ، لقلنا ان المعرى والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكان المشيئة الالهية قد قدتهما من ادیم واحد وجبلت طينتهما فى آنية واحدة وفى آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين

***

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين فى الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة اجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأى جرئ على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعى فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهبا وفضة . وكلاهما عاش عزباً لم

يتزوج وكلاهما نشا فى عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالاراء الفلسفية ، اذ فى عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفى عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب فى العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة فى زمانهما فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة فى سورية فى عصر المعرى . واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التى عاش فيها الخيام فانه نشأ فى اكناف الدولة السلجوقية التركية التى قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة فى ايام ملكشاه ٤٦٥–٤٨٥ الذى كان يجل عمر الخيام اجلالا عظيما حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفى عهده اسس زميله وشريكه فى الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفى ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الاخر (نظام الملك) بطعنة باطنى .

ولادتهما ووفاتهما

تضاربت آراء الباحثين فى السنة التى ولد فيها عمر الخيام كما اختلفت فى السنة التى توفى بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة فى وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ — و ٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفى فى اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام — وهو تلميذ خيام — انه زار قبره فى نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفى منذ سنوات

اتهامهما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوماً بضعف العقيدة الاسلامية متهما بالزندقة وكانت لفظة « الزنديق » فى عصرهما تطلق على الاحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور وقد اودت هذه التهمة بحياة الكثيرين من الفضلاء امثال صالح بن عبد القدوس وبشار بن برد ومنصور الحلاج والسهروردى قتيل حلب وغيرهم.

اما ابو العلاء المعرى فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الأى الكريم فقرأ « ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة أعمى واضل سبيلا » يريد بذلك اهانة الشيخ والتعريض به، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين.

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازى فسأله ما هذا الذى يرويه عنك الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا على وقد تركت لهم الدنيا قال المنازى : « والاخرة » فقال ابو العلاء « والاخرة ؟ » ثم اطرق ولم يكلمه حتى قام عنه المنازى.

وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم اهج احداً، قال صدقت الا الانبياء وقال فتغير لونه.

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعرى فقد قال فيه « شيخ نجم الدين الرازى » فى كتابه « مرصاد العباد » انه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين

الطبيعيين وقد احتج نجم الدين على زندقة الخيام بالرباعيتين التاليتين :

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت پيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن ازكجا ورفتن بكجاست

لا بدأ ولا انتهاء لهذه الدائرة التى جئنا منها لا احد يستطيع ان يعلم من أين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب.

* * *

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز ازچه سبب فكندش اندر كم وكاست
كرز آنكه بد آمداين صور عيب كراست
ورنيك امد خرابي از بهر چه خواست

لاى سبب يهدم الله الحياة والانسان بعد ان كان هو الذى ركب الطبائع فاذا جائت رديئة فالعاب يعود عليه واذا كانت جيدة فلماذا يخربها ؟

* * *

وقد ايد هذه الرواية (القفطى) فى كتابه تأريخ الحكماء بقوله : (ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك قلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير تقية. الخ) وهذا القول يدل على ان الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام القارص. وفيما يلى نثبت رباعيتين لعمر الخيام فى الرد عليهم قال :

ای مفتی شهر از تو پرکار تریم
با ابن همه مستی ز تو هشیار تریم
ما خون دزان خوریم وتو خون کسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

یا مفتی المدینة اذا احسن منك عملا ومع کثرة سکرنا فانا اصحی منك انا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فاینا شراب الدماء ؟

شیخی بزن فاحشه کفتا مستی
هر لحظه بدام دیگری پابستی
کفتا شیخا هر آنچه کوئی هستم
اما تو چنانجه منیمائی هستی

قال شیخ معمم لفاحشة انت سکری . وفی کل ساعة مربوطة بخلیل فقالت له الفاحشة یا شیخ ان الذی قلته صحیح لکنك أأنت انت کما تظهر للناس ؟

اعتقادهما بالجبر

کان کلا الحکیمین معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعری فی مقدمة اللزومیات علی انه لم یؤلف هذا الکتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفی لا یعرف کنهه وحقیقته . وقد ذکر الجبر فی اللزومیات مراراً کثیرة مثبتاً ایاه ومناضلا عنه فمن قوله فیه :

خرجت الی ذی الدار کرهاً ورحلتی الی غیرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فیما بین ذلك مجبر علی عمل ام مستطیع فجاهد

* * *

ما باختیاری میلادی ولا هرمی ولا حیاتی فهل لی بعد تخییر

* * *

جئنا علی کره ونرحل رغماً ولعلنا ما بین ذلك نجبر

* * *

وردت الی دار المصائب مجبراً واصبحت فیها لیس یعجبنی النقل

* * *

ولم نحلل بدنیانا اختیاراً ولکن جاء ذاك علی اضطرار

اما عمر الخیام فکان رأیه صریحاً فی الجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأویل فقد سئل فی عصره عن ثلاث مسائل (احداها) کیف صدر ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل یتعالی عن ان یکون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب . (الثانیة) ای الفریقین اقرب الی الصواب وقوله اشبه بالتحقیق : الجبریة القائلون بالجبر ونفی الاختیار عن الممکن . ام القدریة الناسبون الی العبد خلق افعاله (الثالثة) ان قوماً یقولون بان البقاء من صفات المعانی ای انه صفة زائدة علی ذات الباقی فی الخارج فکیف یصح قولهم وما سبیل المناقشة معهم ؟

فاجاب عمر الخیام بکلام طویل حلل فیه هذه الابحاث تحلیلا دقیقاً

وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً فى الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اى الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادىء الرأى وظاهر النظر من غير ان يتلجلج فى هـذيانه ويتغلغل فى خرفاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً .

اما رباعيـاته فقد دلت على اعتقاده بالجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم ازجهان جبزى نفزود
رفتم باكراه وندانم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاءنى مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة. ذهبنا مكرهين . ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

برر هكذرم هزار جاد ام نهى
كوئى كه بكيرمت اكر كام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكمم توكنى وعاصيم نام نهى

تضع الاشراك يا الهى فى الف مكان من سبيلى وتقول انك اذا وطأتها فانا نهلكك . لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك ، انت تحكم وتقدر علىّ وانت تسمينى بالعاصى ؟

البعث بعد الموت

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد فى الدنيا ، وكان فلاسفة اليونان الالهيون ولاسيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم لما كانوا مؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التى لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتى قدسى عقلى وهناك تحيى حياة اما شقية واما سعيدة لقاء ما اتته فى الحياة من آثام او اعمال مبرورة اما ارباب الديانات فرأيهم صريح فى البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالايات التى يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة واراء عجيبة فى هذا البحث .

وقد انعمنا النظر فى رباعيات عمر الخيام فوجدناه منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأى القائلين بحشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم قال :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند
فرماى كه تابادهٔ كلكون آرند
توزرنهٔ اى غافل نادان كه ترا
درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك غمومك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية
ايها الغافل الجاهل انت لست ذهبا حتى اذا واروك التراب اخرجوك
مرة أخرى .

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتباز
از روى حقيقتي نه از روى مجاز
بازيچه لنان بديم بر نطع وجود
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير
مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً
اثر واحد .

ففوله « انت لست ذهبـــاً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة
أخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد » دليل على انه
لم يكن معتقداً بالحشر كما يعتقد به المسلمون .

اما ابو العلاء المعري فقد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيما
فكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فمن قوله الذي أثبت فيه البعث :

واني لارجو منه يوم نجاوز ... فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
اذا را كب نالت به الشأو ناقة ... فما أينقي الا الظوالع والحسرى
وارأف بعد الموت مما يريبني ... فما حظي الادنى والايدى الخسرى

ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحاً :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

اما الجسوم فللتراب مآلها ... وعيبت بالارواح انى تسلك

على انني ارتأى انه كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام
وخلود الارواح ، واما الابيات التي نظمها في اثبات البعث فقد نظمها
تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليه .

اخذهما بالتقية

وكان ابو العلاء المعري يرى التقية ومداراة الناس ويحتاط في اظهار
آرائه ويعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد وفي لزومياته
شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى في الصدق مهلكة ... وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه ... وان نطقت فافصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسبي من معايبها ... اني اعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد ... من رهط جبريل او من رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان ابا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر
منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعرى وسلك طريقه فى دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزير جمال الدين ابي الحسن على بن القاضى الاشرف يوسف القفطى » ما نصه : « ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك عن عنان لسانه وقلبه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية » . ومما يؤيد قول القفطى الصراحة البارزة فى بعض رباعياته التى يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء ما يكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك راز نتوانم كفت كوته سخنم دراز نتوانم كفت
حالى درام كه شرح نتوانم داد رازى دارم كه باز نتوانم كفت

لا استطيع ان ابوح بسرى لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا استطيع ان اطيله لى حال لا استطيع ان اشرحها وسر لا استطيع ان اقوله .

ولا سيما ان عصر الخيام كان طافحاً بجماعات من المتصوفة العمى الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين اعمى التعصب الممقوت افئدتهم واطفأ سراج عقولهم فكان من حقه ان يتكتم وان لا يبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التى انزلت بزملائهم وانسبائهم

فى الرأى من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليما .

والنطع الذى اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التى الهبت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذى صلب عليه الصوفى الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذى بتر عنق الفيلسوف السهروردى وغيرهم من الفطاحل الافذاذ الى غيرذلك من الفجائع والوقائع الأليمة — كانت عبراً ودروساً .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة . وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لاهامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب فى صدر الاسلام وذلك منذ اواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبدالله بن سبا (١) الذى قال لعلى عليه السلام (أنت أنت) اى انت الاله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهى فى الائمة بعد على . ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل (٢) الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٢٢ و١٢٢ من كتاب الملل والنحل .

شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت . والغلاة على اصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس فى كوة او كاشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميرى الذى اعماه التعصب فاخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الاداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميرى وسخافاته .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكى فى تاريخ الالفى على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ فى نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً فى مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الاجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ فى أذنه هذه الرباعية :

اى رفته وباز آمده بل هم كشته
نامت زميان نا مهاكم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش از بس كون در آمده دم كشته

يا ايها الذى ذهب وعاد مرة أخرى وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت اضافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك فصارت ذيلا .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فاجابهم ان الروح التى حلت فى جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار فى الدخول اليها غير انه لما شاهد اصحابه الاقدمين رضى بالدخول .

والذى ينعم النظر فى هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا ان يعتقد بانها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الاحاديث التى يختلقها العوام لان هذا الرجل الذى دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على رجاحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأى المبتذل المأفون هذا من جهة ومن جهة أخرى ان رباعياته التى اشتهر بها والتى اودعها آراءه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده وانكاره البعث والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض . لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعرى ممن ذم هذا الرأى وهزىء به وشنعه فى رسالة الغفران وفى لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهـذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضـلة اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

تشاؤمهما

ان سيرة المعرى والخيام وشعرهما وارائهما فى الكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس اشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شىء فى الكون خبيث ردىء وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان الالام الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وافراحها .

والتشاؤم (مرض روحى) ابتلى به كثير من الفلاسفة و المفكرين من ذوى الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ فى ديانة البوذيين وشاع فى الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة اوجاعهم وهـذا المرض يتغلغل غالباً فى نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة القليـلة الارزاق الفقيرة التى ما فيها عمل ولا كسب وكثيراً ما يحصل من الوراثة هـذا عند عوام الناس وهو وقتى لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت

الحاجـة زال التشاؤم سريعاً .

اما عند الحكماء المفكرين فامره عظيم شأنه كبير فانه يتولد فى نفوسهم من سلسلة الفكرات العميقة والتأملات الطويلة فى شؤون غامضة وامور مبهمة لم يتوصل العقل البشرى الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث او قديم وهل هو محـدود ومتناه او غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز التى ما تأمل فيها احد الا رجعت تأملاته على اعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لا اختياراً والشك الذى هو نتيجة عدم ادراك هـذه المعميات هو الذى يولد (التشاؤم) ويورث الالم واليأس . وفى الحقيقة اذا فكر الانسان فى علة وجود هذا الكون وفى سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفى موته الذى يتخلى به عن رجائه واماله وامانيه يشعر ولاريب بهزات عنيفة فى وجدانه وصدمات قوية فى شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريعـة واحلام محزنة والانسان مفطور على حب البقاء فى الحياة على ما فيها من وجع وكدر وافة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هى التى تورث التشاؤم الذى لا مندوحة عنه ما دام موقناً بها .

وقد اعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء اوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما اوجده . وان هناك

حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وابار يق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون اعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها الوان من العذاب اعدت للمجرمين الاثمين .

فهذا الامل الرائع يمنح المعتقدين راحة وسلاماً وامناً فى الحياة فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعرى الذى تدل كلماته واقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً فى وجود خالق صانع مدبر ، حائراً فى سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكاً فى العقائد التى من ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هو الواقع . وانك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيحاته الاليمة وصرخاته الحزينة ، كأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه فى شعره من امثلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم .

وهذه الاراء التى ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التى المت به بفقدان بصره وموت ابيه وامه وفقره ووهنه هى التى اشعلت فى قلب الشيخ جذوة اليأس والالم فراح يكيل للاديان السباب وللانبياء الشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلا خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلا عن الناس ، كابياً فى كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك برهان اقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره :

هـذا جناه ابى عـلى وما جنيت على احد

وقوله :

اراني فى الثلاثة من سجوني فلا تسال عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسد الخبيث

وقوله :

* * *

تعب كلها الحياة فما اعـ جب الامن راغب فى ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس :

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب فى لؤمـه والناس كالنسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقدرأت أشخوص جزأم شخوص أناس
عرب وعجم دائلون وكلنا فى الظلم اهل تشابه وجناس

وقوله :

* * *

والشر طبع وقد بثت غريزته مقسومة بين انواع واجناس

* * *

سجايا كلها غـدر وخبث توارثها أناس عن أناس

وقد تزاحمت هذه الافكار فى رأس عمر الخيام كما تزاحمت فى رأس صاحبه المعرى وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لو لم يكن مخلوقاً فى الدنيا .

كر آمـدنم بمن بدى نامدى
ورنبز شدن بمن بدى كى شدمى

به زآن نبدی که اندرین عالم خاك
نه امـــدی نه شـــدمی نه بدمی

لو كان مجيئي باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت ان اخلق . الافضل انني لم أكن في هذا العالم ولم أجئ اليه ولم أخلق ولم ابق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا في الدواء :

الخمرة ــ المنية

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت . وفي طاقتنا ان نقول ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد ذهب في المغالاة بمدحها والاسراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض الباحثين ان يسيئوا به الظنون ويعتبروا اقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للاوجاع وتخفيفا للآلام والاكدار ومما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا المعنى قوله :

بزجاجتين قطعت عمري وعليها عولت امري
فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمتي وبذي أزيل هموم صدري

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله:

مي خوردن من نه از براى طرب است
نى بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه بيخورى بر آرم نفسى
مي خوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب . انما اريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكرى لهذا السبب .

از امدن بهـــار واز رفتن دى
اوراق وجود ماهمى كردد طى
مي خور مخور اندوه كه كفتست حكيم
غمهاى جهان جوز هرو تريا كش مى

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوى اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان الام الحية سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التى يتغنى بها الخيام فى رباعياته هى (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقية) او (السكر المقدس) وهى الخمرة الخيالية التى ينشدها شعراء الصوفية فى قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومى وغيرهم وفى الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة رمزية وانما تغزل بالمشمشة الحمراء بنت الكروم لابادة الالم الرابض فى صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان فى دحض هذا الزعم.

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلا فهو فى وصفه الرائع اشبه بابى نواس فى وصفه لها حتى لقد سن للسكارى قانوناً فى كيفية تعاطيها قال :

كرباده خورى توباخرد منداں خور
يابا صنمى لاله رخى خنداں خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز
اندك خور وكه كاه خوروپنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء او مع مليح ضحوك ذى محيا منهر ولا تشرب كثيراً ولا تفحش فى الكلام اشرب قليلا وبين آونة واخرى وفى الخفاء :

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه فى هذا المعنى واكثر من ذم الخمرة وقبحها ونددد بشاربيها ، زعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب وقد اجهز على السلافة فى لزومياته فمن ذلك قوله .

وحاذر من الصهباء فهى عدوة من الصهب مشت فى مفاصلك السكرا

وقوله :

* * *

البابليـــة باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره واذى النديم وفرقة الاحباب
أم الحباب وان أميت لهيبها بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا على لبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادى الالباب

وقوله :

* * *

دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لاوجبت قلاها اصيلات والنهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة من الخمر فى كاساتهم والابارق

* * *

قلنا غير مرة ان الخيام والمعرى كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هى (الخمرة) واما المعرى فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافى وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها فى كثير من شعره فمن قوله :

اما حياني فمالي عندها فرج فليت شعري عن موتي اذا قدما
صحبت عيشاً اعانيه ويغلبني مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زمـــاناً شره لهب اذا دنا لخبو عاد فاحتدما
من باعني بحيـــاتي ميتـة سرحا بايعته واهـان الله من ندما

وقوله:

* * *

رب متى ارحل عن هذه الـ دنيا فاني قد اطلت المقام
لم ادر ما نجمي ولـكنه في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يقرجي يدي ولا عدوي يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثواي ومثواهم وما رأينا احداً منه قام

وقوله:

* * *

مللت عيشي فعوجي يا منية بي وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدي سيوجد امسي لا ينازعني في ذاك خلق وامسي لا يصير غدي

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحكيمان ايضاً في قضية مصير الجسم بعد موته فكان ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم:

خفف الوطأ ما اظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجساد
سر ان استطعت في الهواء رويداً لا اختيالا على رفات العباد

ومن قوله في عدم تكريمه:

تكرم اوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق اموتهم.

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم وذاك اروح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشوه من ضيع تسري اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غباً واذهب للنكراء والريح

وقد عالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكان مبالغا في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلا انها اجساد بشرية يجب ان تعامل بالحسنى.

ای کوزه گران نکوش اکر هشیاری
تا جند کنی بر کل آدم خواری
انکشت فریدون وکف کیخسرو
بر جرخ نهاده جـه می بنـداری

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين: حتى م تظلمون طينة ابن آدم. انكم قد وضعتم اصبع فريدون و كف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون؟.

دی کوزه کری بدیدم اندر بازار
برباره کلی لکد همی زد بسیار

وان كل بريان حال باوى ميكفت
من همجو توبوده ام مرانيكو دار

رأيت امس خزافا فى السوق وكان يركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول الخزاف لقد كنت ياهذا مثلك فعاملنى بالحسنى.

وقد عاش الشيخين هزبين ولم يتزوجا وكان رأى المعرى فى المرأة سيئاً وكان يكره النسل ويرى الزواج اثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجنى على غيره كما جنى ابوه وفى ذلك يقول :

وارحت اولادى فهم فى نعمة العـ ـدم التى فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شـدة ترمي بهم فى موبقات الآجـل

* * *

فالبث وحيداً لا وصيـ ـفة فى ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه فى الزواج والمرأة والنسل ...

القسم الثاني

باعيات

— ١ —

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادیٔ در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وآخرون محتارون بين الشك واليقين واذا بمنادٍ يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

— ٢ —

ای مفتیٔ شهر ازتو پرُکار تریم
بااین همه مستی زتو هُشیار تریم
ماخون دَزان خوریم وتوخون کسان
انصاف بده کُدام خونخوارتریم ؟

نحن يامفتى المدينة اصلح منك عملا ، ومع كل هذا السكر اصحى منك ، انا نشرب دم العنب ، وانت تشرب دم الناس فانصف ! اينا اشد سفكا للدماء ؟

— ٣ —

شیخی بزن فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دگری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه گویی هستم
اما تو چنانچه منیائی هستی ؟

قال شيخ لفاحشة انت سكرى وفى كل لحظة متعلقة بشخص فقالت ايها الشيخ ! ان الذى قلته صحيح لكنك انت كما تظهر للناس ؟

— ٤ —

آنانکه به کار عقل در میکوشند
هیهات که جمله گاو نر میدوشند
آن به که لباس ابلهی درپوشند
کامروز به عقل ره می نفروشند

اولئك الذين همتهم الجهد من طريق العقل ، هيهات انهم يحلبون ثوراً ، الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة ، اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش .

— ٥ —

ایکاش که جای آرمیدن بودی
یا این ره دوررا رسیدن بودی
کاش ازپی صد هزار سال از دل خاك
چون سبزه امید برد میدن بودی

ياحبّذا لو كان للراحة محل ، وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ، وياحبذا لو كان هناك امل فى العَودة الى الحياة بعد مِائة الأُلوف من السنين ، كما يعود العِشب من قلب التراب .

— ٦ —

دل سر حیات اگر کما هی دانست
در مرگ هم اسرار آلهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فردا که زخود روی چه خواهی دانست ؟

لو عرف القلب سر الحياة كما هى ، لعرف ايضاً فى الموت الاسرار الآلهية ، انت لاتعلم شيئاً اليوم وانت مع نفسك ، فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها ؟

— ٧ —

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادیٔ در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وآخرون محتارون بين الشك واليقين ، واذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون ، الطريق لاهذا ولاذاك .

—٨—

چون مردن تو مردن یکبار گی است
یکبار بمیر این چه بیچار گی است
خونی ونجاستی ومشتی رگ وپوست
انگار نبود این چه غمخوار گی است

لما کان موتك مرة واحدة ، مت مرة واحدة ! ما هذه المسکنة ؟ دمٌ ونجاسة وصم من عظم وجلد ، فما هذه المحنة من اجل شيءٍ تافه حقير .

—٩—

گر برفلکم دست بدی چون یزدان
بردا شتمی من این فلکرا زمیان
ازنو فلك دگر چنان ساختمی
کآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو کنت مهیمناً علی الفلك ، هیمنة خالق ، لقضیت علی هذاالفلك ، ولخلقت فلکا غیره ، علی ان یبلغ المرء فیه مرامه بدون عناء .

—١٠—

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حیرتم از جهان چیزی نفزود
رفتیم باکراه وندانیم چه بود
زین آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بی علی الرغم منی الی الوجود ، ولم ازدد غیر الحیرة فی هذه الحیاة ، ذهبا مکرهین ، ولم نعلم الغرض من مجیئنا وبقائنا وذهابنا .

—١١—

یزدان جو گل وجو دما می‌آراست
دانست زفعل ماچه بر خواهد خواست
بی حکمش نیست هر گناهی که مراست
پس سوختن قیامت از بهرچه خواست ؟

لما کوّن الله وجودنا من الطین ، کان یعلم بالافعال التی ستصدر منا ، لیس خارجا من حکمه کل ذنب نقترفه ، اذاً فلماذا یصلینا فی السعیر یوم القیامة ؟

— ١٢ —

در رهگذرم هزار جا دام نهی
گویی که بگیرمت اگر کام نهی
یك ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم تو کنی وعاصیم نام نهی ؟

تضع الاشراك فی الف مکان فی سبیلی ، وتقول اذا وقعت فیها فانی مبیدك ، لا تخلو ذرة فی العالم من سلطانك ، انت تقدر علیّ الحکم وانت تنعتنی بالعاصی ؟

— ١٣ —

از آب وگلم سرشتهٔ من چه کنم
وین پشم مرا تورشتهٔ من چه کنم
هرنیك وبدی که از من آید بوجود
توبر سر من نوشتهٔ من چه کنم ؟

ماذا اصنع یا الٰهی وانت الذی جبلتنی من ماء وطین ، وانت الذی غرزت صوفتی ، انت کتبت علیّ کل مایصدر منی من خیر وشر فی هذا الوجود ، فماذا اصنع ؟

— ١٤ —

عمرت تا کی بخود پرستی گذرد ؟
یا در پی نیستی وهستی گذرد ؟
می نوش که عمری که اجل در پی اوست
آن به که بخواب یا بمستی گذرد

حتی مَ یمرّ عمرك فی عبادة نفسك ، او فی الافتکار فی الوجود والعدم ، اشرب الخمر فان العمر الذی یعقبه الموت یحسن ان ینقضی فی النوم او السُکر .

— ١٥ —

تازهره ومه در آسمان گشت پدید
بهتر زمی ناب کسی هیچ ندید
من در عجبم زمی فروشان کایشان
به زانچه فروشند چه خواهند خرید

منذ ظهرت الزهرة والقمر فی السماء ، ما رأی احد احسن من الخمرة الصافیة ، یا عجبی من بائعی الخمر ای شیء سیشترون احسن مما یبیعون !

— ١٦ —

گر من زمی مغانه مستم ، مستم ؛
گر کافر و گبر وبتپرستم هستم
هر طایفهٔ بمن گمانی دارند ؛
من زان خودم ، چنانکه هستم ، هستم

انا ان کنت ثملاً بخمرة المجوس فانا ذاك ، وان کنت کافراً اومجوسیاً او وثنیاً فانا ذاك ، لکل طائفة ظنّ فیّ ، اما انا فلك نفسي اکون کما اريد .

— ١٧ —

این قافلهٔ عمر عجب میگذرد
در یاب دمی که باطرب میگذرد
ساقی غم فردای قیامت چه خوری ؟
پیش آر پیالهٔ که شب میگذرد

تسیر قافلة العمر سیراً عجیباً ، فاغتنم وقتاً تطرب فیه ، ایها الساقی ! مالك مهموماً من القیامة فی غد ؟ هات الزجاجة فان اللیل علی وشك الفناء .

— ١٨ —

روزی که گذشته است ازویاد مکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنا مده و گذشته فریاد منه
حالی خوش باش وعمر برباد مکن

لا تذکر الیوم الذی مضی ، ولا تجزع من غدٍ لم یأت بعد ، ولا تفزع مما لم یأت ومما مضی ، طب نفساً ولا تنغص عیشك .

— ١٩ —

مائیم دراو فتاده چون مرغ بدام
دلخستهٔ روزگار وآشفته مدام
سرگشته درین دائرهٔ بی در وبام
نا آمده بر مراد ونارفته به کام

وقعنا فی هذه الحیاة وقوع الطیر فی الفخ ، مفؤدین من الدهر ، طائشین علی الدوام . تائهین فی هذه الدائرة التی لاسطح لها ولاباب ، لاجئنا باختیارنا ولا ذهبنا بارادتنا .

— ۲۰ —

تاهُشیارم طرب زمن پنهانست
چون مست شوم در خردم نقصانست
حالیست میان مستی وهُشیاری
من شادم از آن که زند گانی آنست

ما دمتُ صاحیاً فالطرب خاف عنی ، واذا ثملت نقص عقلی ، انما بین الصحو والسکر ، حالة هی وحدها لذة الحیاة .

— ۲۱ —

گویند بمن بهشت باحور خوشست
من میگویم که آب انگور خوشست
این نقد بگیر ودست از ان نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن از دور خوشست

یقولون لی الجنة طیبة بالحور وانا اقول ماء العنب ـ الخمر ـ هو الطیب ، خذ هذا النقد وذر ذلك الوعد ، فان صوت الطبل من البعید حسن .

— ۲۲ —

گر باده بکوه در دهی رقص کند
ناقص بود آنکه باده‌را نقص کند
از باده مرا توبه چه میفرمایی ؟
روحیست که او تربیت شخص کند

ان سقیت الجبلَ خمراً رقص الجبل ، ناقص من ینتقص من قدرها ـ یذمها ـ اتطلب الیّ ان اتوب من شرب الخمرة ، وهی تلك الروح التی تربی الانسان .

— ۲۳ —

می نوش که عمر جاودانی اینست
خود خاصیت دور جهانی اینست
هنگام گل ومل است ویاران سرمست
خوش باش دمی که زندگانی اینست

اشرب الخمرة لانها الحیاة الدائمة ، وهی وحدها مزیّة الدنیا ، الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاء سکاری ، اسعد لحظة ! هذه هی الحیاة .

—٢٤—

زان پیش که غمهات شبیخون آرند
فرمای که تابادهٔ گلگون آرند
توزر نهٔ ای غافل نادان که ترا
در خاك نهند وباز بیرون آرند

قبل ان تهلكك همومك ، مرهم ان يأتوك بمدامة ورديّة . ايها الجاهل الغر ! انت لست ذهباً ليدفنوك فى التراب ثم يخرجوك .

—٢٥—

من بندهٔ عاصیم رضای تو کجاست
تاریك دلم نور وصفای تو کجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشي
آن بیع بود لطف وعطای تو کجاست

انا عبدك العاصي ، فاين رضاؤك ، انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك ، ان كنت تهبنا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعاً ، فاين لطفك وعطاؤك ؟

—٢٦—

این چرخ چو طاسیست نکون افتاده
دروی همه زیرکان زبون افتاده
بر دوستیء شیشه وساغر نگرید
لب بر لب ودر میانه خون افتاده

ان هذه السماء كطاس مقلوبة وفيها كل الاذكياء إذلاّء . انظروا الى الصداقة بين الابريق والكأس ، الهفاه فوق الشفاه وبينهما الدم .

—٢٧—

تاچند اسیر رنك وبو خواهی شُد
چند از پی هر زشت ونکو خواهی شد
گر چشمهٔ زمزمی وگر آب حیات
آخر بدل خاك فرو خواهی شد

الى كم انت تصبو الى اللون والرائحة ، وتركض وراء كل طيب وخبيث ، ستغور فى باطن الارض ، حتى لو كنت ماء زمزم او ماء الحياة .

—۲۸—

چون میگذرد عمر چه شیرین وچه تلخ
پیمانه چو پر شود چه بغداد چه بلخ
می نوش که بعد از من وتو ماه بسی
از سلخ بغره آید از غره بسلخ

مادام العمر ینقضي ، فسیان عندی حُلوه ومرّه ، واذا امتلأت الکأس « مت » فسیان عندی امت فی بغداد ام فی بلخ ، احس یاصاح کئوس الحمیا ، فان القمر سینتقل من بعدی وبعدك من السلخ الی الغرّة ومن الغرّة الی السلخ کثیراً

—۲۹—

دشمن بغلط گفت که می فلسفیم
ایزد داند که آنچه او گفت نیم
لیکن چو در این غم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

اخطأ العدوّ بقوله انی فلسفی ، وقد علم الله انی لست کما قال ، ولکنی اذ وجدت نفسي فی دار الغم « الدنیا » فلا اقلّ ان اعرف من انا ؟

جز راه قلندران میخانه مپوی ،
جز باده وجز سماع وجز یار مجوی ،
بر کف قدح باده وبر دوش سبوی ؛
می نوش کن ای نگار و بیهوده مکوی.

لا تسلك غیر سبیل قلندریة الحانة ، ولا تطلب غیر الخمرة والسماع والحبیب ، ضع القدح علی کفك والدن علی متنك واشرب ایها الجمیل ولا تقل هجرا

— ٣١ —

سیم ارچه نه مایهٔ خرد مندانست ،
بی سیمان را باغ جهان زندانست ؛
ازدست تهی بنفشه سر بر زانوست ،
در کیسهٔ زر دهان گل خندانست .

ولو ان الفضة لا تكون ذخيرة العقلاء ، لكن روض الحياة سجن المفلسين ها هي البنفسجة نكست رأسها لخلو جوفها ، وها هي الوردة باسمة الثغر في كيسها الذهبي .

— ٣٢ —

در چشم محققان چه زیبا وچه زشت ،
منزلگه عاشقان چه دوزخ چه بهشت ؛
پوشیدن بیدلان چه اطلس چه پلاس ،
زیر سر عاشقان چه بالین وچه خشت ،

سواء في نظر المحققين — العقلاء — الجميل والقبيح وسواء في نظر العاشقين مثوى الجنة والنار ، وسوآء لدى المسلوب قلبه ، الحرير والمنسوج الخشن ، وسوآء لدى العاشقين توسد الريش والحجارة .

— ٣٣ —

دنیا نه مقام تست نه جای نشست ،
فرزانه در او خراب او لیتر ومست ؛
بر آتش غم زباده آبی میزن ،
زآن پیشس که درخاك روی باد بدست .

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة ، افضل للحكيم فيها ان يكون ثملاً ومصروعاً ، اسكب ماء الخمرة على نار الغموم ، قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

— ٣٤ —

دنیا بمراد رانده گیر آخر چه ؟
وین نامهٔ عمر خوانده گیر آخر چه ؟
گیرم که بکام دل بماندی صد سال ،
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه ؟

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله ؟ فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام ، وعش بعدها مائة عام فما هي النتيجة ؟ !

— ٣٥ —

از تن چو برفت جان پاك من وتو ،
خشتی دونهند بر مغاك من وتو ؛
وآنگه زبرای خشت گور دگران ،
درکالبدی کشند خاك پاك من وتو .

حين تخرج من الجسد روحی وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدی ولحدك ، ثم لاجل لبنتين لقبر آخر يضعون ترابی وترابك فی القالب .

— ٣٦ —

دریاب ! کهاز روح جدا خواهی شُد ،
در پردهٔ اسرار فنا خواهی شد ؛
می نوش ! ندانی زکجا آمدهٔ ،
خوش باش ! ندانی بکجاخواهی شد .

انتبه — اعلم — ! انك ستفترق عن روحك وستفنی ورآء ستار الاسرار ، اشرب الخمرة ! انك لا تدری من این اتیت ، واسعد ! انك لا تعلم الی این تذهب .

— ٣٧ —

سیر آمدم ای خدای ازهستی خویش ،
از تنك دلی واز تهی دستی خویش ؛
از نیست چو هست میکنی بیرون آر ،
زین نیستیم بحرمت هستی خویش .

ملت یا الٰهی وجودی وضیق صدری وفراغ یدی ، یامن یجعل من العدم وجوداً اخرجنی من عدمی بحرمة وجودك .

— ٣٨ —

خیام که خیمه های حکمت میدوخت ،
در کورهٔ غم فتاد وناگاه بسوخت ؛
مقراض اجل طناب عمرش ببرید ،
دلّال امل برایگانش بفروخت .

وقع الخیام الذی کان یخیط خیم الحکمة فی کور الغم واحترق ، وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره ، وباعه دلّال الأمل رخیصا .

—٣٩—

گر باده خوری توبا خرد منداں خور ،
یابا صنمی لاله رخ وخنـدان خور ؛
بسیار مخور ، فاش مکن ، ورد مساز ،
اندك خور ، وگه گاه خور ، وپنهان خور .

ان تشرب الخمرة . فاشربها مع العقلاء اومع جميلة باسمة موردة الخدين ، لاتشرب كثيراً ، لاتفشي شربك لاحد ، لا تلهج بها ، اشرب قليلا ، وبين آونة واخرى ، وفى الخفاء سراً — .

—٤٠—

گرمی نوشد گدا به میری برسد ،
ورز بهکی خورد به شیری برسد ،
ور پیر خورد جوانی از سر گیرد ،
ورز آنکه جوان خورد به پیری برسد .

اذا شرب الفقير الخمرة رأى الأمارة فى نفسه ، واذا شربها الثعلب رأى السبعية فى نفسه ، واذا شربها الشيخ جدد لنفسه عهد الشباب ، واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة — طال عمره — .

—٤١—

سر دفتر عالم معانی عشق است ،
سر بیت قصیدهٔ جوانی عشق است ؛
ای آنکه خبر نداری از عالم عشق ،
این نکته بدان که زندگانی عشق است .

العشق عنوان عالم المعانى ، ومطلع قصيدة الشباب فاعلم ايها الغافل عن عالم العشق هذه النكتة ، ان الحياة هى العشق .

—٤٢—

یك نان به دو روز گر شود حاصل مرد ،
وز کوزهٔ اشکسته دو آبی سرد ،
مأمور کسی دگر چرا باید بود ؟
یاخدمت چون خودی چرا باید کرد ؟

اذا وجد المرء رغيفاً فى يومه او وجد فى بعض الاحيان فى كوز مكسور جرعة ماء بارد ، فلماذا يكون تحت امرة غيره ، اوفى خدمة من يضاهيه ؟

— ٤٣ —

ابریق می مرا شکستی ربی !
برمن در عیش رابستی ربی ،
بر خاك فکندی می گلگون مرا ،
خاکم بدهن مکر تومستی ربی ؟

یا الٰهی حطّمت ابریق مدامی ، واوصدت باب الأنس فی وجهی ، سکبت علی الارض خمرتی الوردیة ، تراب بفمی هل انت سکران یارب ؟ !

— ٤٤ —

ناکرده گناه در جهان کیست بگو !
وانکس که گنه نکرد چون زیست بگو !
من بد کنم وتو بد مکافات دهی ؟
پس فرق میان من وتو چیست بگو ؟ !

یا الٰهی قل من الذی لم یأثم فی الدنیا ، وکیف یلبث فیها من لا یأثم فاذا کنت تقابلنی علی سیئتی بسیئة مثلها اذاً فما الفرق بینی وبینك ؟ !

— ٤٥ —

نازم به خرابات که اهلش اهلست ،
چون نیك نظر کنی بدش هم سهلست ؛
از مدرسه برنخاست یك اهل دلی ،
ویران شود این خرابه دار الجهلست .

اتباهی بحانات الخمر فان اهلها اکفاء واذا انعمت النظر فی طالحهم وجدته لا بأس به ، لم ینبغ احد من المدرسة من ذوی القلوب النیّرة لتهدم هذه الخرابة فانها دار الجهل .

— ٤٦ —

خیام ثنت بخیمهٔ ماند راست ،
جان سلطانیکه منزلش دار بقاست ؛
فراش ازل زبهر دیگر منزل
نه خیمه بیفکند چو سلطان برخاست .

ای خیام ! ان جسدك یماثل الخیمة حقاً والروح التی منزلها دار البقآء تشبه السلطان . فاذا ارتحل السلطان الا یقوض الخیمة فراش الازل .

— ٤٧ —

می خور که مدام راحت روح تو اوست ،
آسایش جان ودل مجروح تو اوست ؛
طوفان غم ار در آید از پیش وپست
در باده گریز ، کشتیٔ نوح تو اوست .

اشرب الصهباء فانها راحة روحك وامان لنفسك وقلبك المجروحين ، واذا داهمك طوفان الغم من ورائك وامامك . فالجأ ولذ بالخمرة فانها سفينة النجاة .

— ٤٨ —

خورشید کمند صبح بربام افکند ؛
کیخسرو روز باده در جام افکند ،
می خور که منادیٔ سحرگه خیزان ؛
آوازهٔ « اشربوا » در ایام افکند .

ارسلت الشمس اشعتها الذهبية على السطح وقد صب ملك النهار صهبائه فى الجام ، اشرب المدامة فقد نادى مؤذن السحر ان « اشربوا » .

— ٤٩ —

یارب خردم در خور اثبات تو نیست ،
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست ؛
من ذات ترا بواجبی کی دانم ،
دا نندهٔ ذات تو بجز ذات تو نیست .

ربی ! ليس لعقلى من السعة لاثباتك ، انا لا افتكر الا فى مناجاتك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

— ٥٠ —

بر مفرش خاك خفتگان می بینم ؛
در زیر زمین نهفتگان می بینم ؛
چندانکه به صحرای عدم می نگرم ،
نا آمد گان ورفتگان می بینم .

ارى فوق فراش الارض أناساً غارقين فى سباتهم وارى تحت اطباق الثرى اناساً مختفين ، انا كلما انظر الى بيداء العدم . ارى اناساً لم يأتوا بعد ولم يذهبوا .

— ٥١ —

کس خلد وجحیم را ندیدست ای دل ؛
کوآن که از آن جهان رسیدست ای دل؟
امید وهراس ما بچیزیست کز آن ،
خود نام ونشانی نه پدیدست ای دل .

یاقلب ! لم یر احد الخلد والجحیم ، یاقلب این الذی جاء من ذلك العالم ؟ ان رجائنا وخوفنا من شي لم نجد اسمه ولا رسمه .

— ٥٢ —

از آمدن ورفتن ما سودی کو ؟
وزتار امید عمر ماپودی کو ؟
در چنبر چرخ جان چندین یاکان .
میسوزد وخاك میشود ، دودی کو ؟

ای نفع من مجیئنا وذهابنا ، لم نجد سدی لحمة الأمل من عمرنا . فی دائرة الفلك تشتعل ارواح الکشیرین من الطیبین وتصیر رماداً فاین دخانها ؟

— ٥٣ —

گویند بهشت وحور وکوثر باشد ،
جوی می وشیر وشهد وشکر باشد ،
یك جام بده بیاد آن ای ساقی !
نقدی زهزار نسیه بهتر باشد .

یقولون هناك ـ فی الآخرة ـ جنّة وحور وکوثر وانهار من خمر ولبن وعسل مصفی ، ناولنی ایها الساقی کأساً علی ذکرها ! فان النقد الواحد افضل من الف نسیئة .

— ٥٤ —

برگیر زخود حساب اگر باخبری ؛
کاول توچه آوردی وآخر چه بری ؛
گویی نخورم باده که میباید مرد .
میباید مرد اگر خوری یا نخوری .

حاسب نفسك ان کنت واعیاً لبیباً . ماذا جئت به وماذا ستأخذ معك ؟ تقول لا اشرب الخمر لانی سأموت . یاهذا سوف تموت شربتها او لم تشربها .

— ٥٥ —

این صورت کون جمله نقشست وخیال،
عارف نبود هرکه نداند این حال؛
بنشین قدحی باده بنوش وخوش باش،
فارغ شو ازین نقش خیالات محال،

ان صورة هذا الكون نقش وخيال. ليس عارفاً من يجهل هذا الحال. اجلس واحس قدحاً من الخمرة واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخيالات.

— ٥٦ —

ماخرقهٔ زهد برسر خم کردیم؟
وزخاك خرابات تیمم کردیم؛
شاید بدر میکدها دریا بیم،
آن عمر که در مدرسه ها گم کردیم.

نحن وضعنا رداء الزهد على دن الخمر وتيممنا بتراب الحانات لعلنا نجد فى ابوابها ذلك العمر الذى اضعناه فى المدارس.

— ٥٧ —

من بی می ناب زیستن نتوانم،
بی باده کشید بار تن نتوانم؛
من بندهٔ آن دم که ساقی گوید،
یك جام دگر بگیر ومن نتوانم.

لا استطيع العيش بدون خمرة صافية ولا اقدر ان احمل عبء جسدى بدونها. انا عبد تلك اللحظة التى يقول فيها الساقى «خذ كأساً اخرى» وانا لا اقدر من شدة سكرى.

— ٥٨ —

پیری دیدم بخانهٔ خماری؛
گفتم نکنی زرفتگان اخباری؟
گفتا می خور که همچو ما بسیاری
رفتند وکسی باز نیامد باری.

رأيت شيخاً فى دار خمار، فقلت له الا تخبرنى عن الذاهبين. قال اشرب المدامة! فان كثيرين من امثالنا ذهبوا وما عاد منهم احد مرة.

— ٥٩ —

بر دار پیاله وسبو ای دلجو !
بر گرد بگرد سبزه زار ولب جو !
کین چرخ بسی قد بتان مهرو ؛
صد بار پیاله کرد وصد بار سبو .

ایها الحبیب ! خذ کأساً وابریقاً ودر حول الروض الاخضر فی جانب النهر فان هذا الفلك قد جعل من قدود الفاتنات ماءة مرة کؤوساً وماءة مرة اباریق .

— ٦٠ —

از گردش روزگار بهری بر گیر !
بر تخت طرب نشین بکف ساغر گیر !
از طاعت ومعصیت خدا مستغنیست ،
باری تو مراد خود زعالم بر گیر .

خذ نصیبك من توالی الایام واجلس علی سریر الطرب وخذ کأساً بیدك . ان الله غنی عن الطاعة والمعصیة فخذ علی الاقل لذتك من الحیاة .

— ٦١ —

آن قصر که بر چرخ همی زد پهلو ؛
بر درگه او شهان نهادندی رو ؛
دیدیم که بر کنگره‌اش فاخته ،
بنشسته همی گفت که کو کو کو ؟

ان القصر الذی کان یتسامی مع الفلك کتفاً الی کتف والذی کان الملوك یضعون علی اعتابه الجباه ، قد رأینا الفاختة علی شرفاته تسجع قائلة « کو کو کو کو » ای « این این » .

— ٦٢ —

گر از پی شهوت وهوا خواهی رفت ؛
از من خبرت که بی نوا خواهی رفت ؛
بنگرچه کسی واز کجا آمدهٔ ! ؟
میدان که چه میکنی ، کجا خواهی رفت !

اذا کنت تحری ورآء شهوتك وهواك ، فانی مخبرك انك ستذهب بائساً یائساً ، انظر من انت ومن این اتیت ! ؟ وماذا تعمل والی این تذهب ؟ .

— ٦٣ —

سرمست به میخانه گذر کردم دوش ،
پیری دیدم مست وسبویی بردوش ؛
گفتم : زخدا شرم نداری ، ای پیر !
گفتا کرم ازخداست ، می نوش وخموش !

مررت بالحانة ثملاً لیلة امس فرأیت شیخاً سکران حاملاً دنّ خمر علی متنه . قلت له ألا تستحی من الله یاشیخ ! فاجاب « الله کریم » فاشرب واسکت ! .

— ٦٤ —

هین ، صبح دمید ودامن شب شد چاك ؛
برخیز وصبوح کن ، چرایی غمناك ،
می نوش دلا ، که صبح بسیار دمد
او روی به ما کرده وما روی بخاك !

انظر ! لقد طلع الصباح وتمزّق جلباب اللیل فقم باکر صبوحك . مالك مغموماً ! اشرب الخمر یاقلبی ! فان الصبح سیطلع کثیراً علینا . وهو یولی وجهه نحونا ونحن نولی وجوهنا نحو التراب .

— ٦٥ —

من می خورم وهرکه چو من اهل بود ،
می خوردن او نزد خرد سهل بود ؛
می خوردن من حق زازل میدانست ،
گرمی نخورم علم خدا جهل بود .

انا أشرب الخمرة ویشربها کل من هو مثلی اهل لها . فان شربه لها لیس بصعب فی نظر العقل ، لأن الله کان یعلم منذ الازل بانی سأشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً یکون جهلا .

—٦٦—

گویند که ماه روزه نزدیك رسید ،
من بعد بگرد باده نتوان گردید ؛
در آخر شعبان بخورم چندان می ،
کاندر رمضان مست بیفتم تا عید .

یقولون قد اتی شهر رمضان ، ولیس لأحد بعد هذا ان یحوم حول المدام ، اما انا فسأشرب منها فی آخر شعبان ما ابقی به سکران طوال شهر رمضان حتی یوم العید .

—٦٧—

گر آمدنم بمن بدی نامدمی ،
وزنیر شدن بمن بدی کی شدمی ؛
به زآن نبدی که اندراین دیر خراب ،
نه آمدمی ، نه شدمی ، نه بدمی .

لو کان مجیئی باختیاری لما جئت ، ولو کانت خلقتی بیدی لما رغبت ان اخلق ، الافضل اننی لم اکن فی هذا الدیر الخرب ولم اجیء الیه ولم ابق فیه .

—٦٨—

جامی ومی وساقی برلب کشت ،
بهتر زبهشتی که خبر بودش رشت ؛
مشنو سخن بهشت ودوزخ از کس ،
که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت .

کأس وخمرة وساق فی جنب روضة . خیر من الجنّة التی وعدتها ، لا تسمعنّ من احد حدیث الجنّة والنار من ذا ذهب الی الجحیم ومن ذا جاء من الجنّة ؟

—٦٩—

مالعبتکانیم وفلك لعبتباز ،
از روی حقیقتی نه از روی مجاز ؛
بازیچه کنان بدیم بر نطع وجود ،
رفتیم بصندوق عدم یك یك باز .

نحن ألاعیب اطفال والفلك هو اللاعب بنا . ذلك امر حقیقی غیر مجازی ، لقد لعبنا مدة فی ساحة الوجود ثم ذهبنا الی صندوق العدم واحداً بعد واحد .

— ٧٠ —

يك جام شراب صد دل ودين ار زد ،
يك جرعهٔ مى مملكت چين ار زد ؛
جز بادهٔ ناب نيست در روى زمين ،
تلخى كه هزار بار شيرين ار زد .

ان كأساً من الخمرة تعدل الف قلب ودين ، وان جُرعة من المشعشعة تساوى مملكة الصين ، ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرّة التى تفضل الحلو الف مرّة .

— ٧١ —

اى دل تو باسرار معمى نرسي ،
در نكتهٔ زيركان دانا نرسي ؛
اينجا بمى وجام بهشتى ميساز ،
كاينجا كه بهشت است رسي يا نرسى .

أيها القلب ! انت لاتصل الأسرار المعماة ، ولا تفقه نكات الاذكياء ، اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنّة من الخمر والكأس ، فانك لاتعلم أتنالها فى تلك ام لا ؟

— ٧٢ —

روزى كه دومهلتست مى خور مى ناب!
كاين عمر دو روزه بر نگردد در ياب !
دانى كه جهان رو بخرابى دارد .
تو نيز شب وروز همى باش خراب !

اشرب الخمرة الصافية مرّتين كل يوم ، فان هذا العمر القصير لا يعود اليك مرّة اخرى ، انت تعلم ان الكون متوجه الى الخراب . فكن انت ايضاً خراباً ليلاً ونهاراً .

— ٧٣ —

اى آنكه نتيجهٔ چهار وهفتى !
در هفت وچهار دائم اندر تفتى ؛
مى خور كه هزار بار پيشت گفتم ،
باز آمدنت نيست چو رفتى رفتى .

يامن هو نتيجه اربعة عناصر وسبع سموات . الى متى انت تتألم بالفكر فيها ؟ اشرب الخمرة ! فقد قلت لك الف مرّة . مالك من أوبةٍ فاذا ذهبت ذهبت .

اجرام که ساکنان این ایوانند ،
اسباب تردد خردمندانند ؛
هان تا سر رشتهٔ خرد گم نکنی ،
کآنان که مدبّرند سرگردانند .

ان هذه الاجرام السماوية قد تركت العقلاء حيارى مترددين ، فاحذر ! ان تضيّع رشدك ، فان المدبّرين لهذا العالم حيارى وفى تردد وذهول .

— ٧٥ —

چون حاصل آدمی دراین جای دو در ،
جز درد دل ودادن جان نیست دگر ؛
خرّم دل آنکه یك نفس زنده بود ،
وآسوده کسیکه خود نزاد از مادر .

لما لم يكن محصول الأنسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح ، فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذى لم يولد من امّه .

این کهنه سرا که عالم اورا نامست ،
وآرامگه ابلق صبح وشام است ؛
بزمیست که واماندهٔ صد جمشید ست ،
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است .

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقرّ الصباح الوضّاء والليل الدامس ، مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

— ٧٧ —

گفتی که ترا عذاب خواهم فرمود ،
هر گز من ازین خبر هراسم نفزود ؛
جایی که توئی عذاب نبود آنجا ،
وانجا که تو نیستی کجا خواهد بود ؟

تفضّلتَ قائلاً : انى سوف اعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر . المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه ؟

—٧٨—

آن به که زجام باده دل شاد کنی
وزنامده وگذشته کم یاد کنی .
وین عاریتی روان زندانی را ،
یك لحظه زبند عقل آزاد کنی .

الأحسن ان تسرّ قلبك بكأس المدامة وان لاتذكر كثيراً ماكان وما يكون — الماضي والآتي — وان تطلق ساعة مهجتك المستعارة السجينة من قيد العقل .

—٧٩—

تایار شراب جانفزایم ندهد ،
صد بوسه فلك بدست وپایم ندهد ؛
گویند که توبه کن که وقتش آمد ،
چون توبه کنم تا که خدایم ندهد .

ان الفلك لايقبّل يدىّ وقدمىّ مائة مرة مالم يسقنى الحبيب صهباء مفرحة . يقولون لى تب من شربها فقد حان وقت التوبة ، وكيف اتوب اذا لم يشأ الله ان اتوب ؟ .

—٨٠—

تاخاك مرا به قالب آمیخته اند ،
بس فتنه که زین خاك بر انگیخته اند ؛
من بهتر ازاین نمی توانم بودن ،
کزبوته مرا چنین برون ریخته اند .

كم من فتنة اثاروا فى طينتى لما وضعوها فى القالب فلا استطيع ان اكون خيراً مما انا عليه ، فانهم هكذا افرغونى من الكور .

—٨١—

در دائرهٔ کامدن ورفتن ماست ،
آنرا نه بدایت نه نهایت پیداست ؛
کس می نزند دمی درین عالم راست ،
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست .

لابداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها والتى نذهب اليها . لا يستطيع احد ان يقول من اين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب .

تابتوانی رنجه مگردان کسرا ،
برآتش خشم خویش منشان کسرا ،
گر راحت جاودان طمع میداری ؛
میرنج همیشه ومرنجان کسرا .

لا تؤذ احداً ما استطعت ، ولاتجلس احداً على نار غضبك ، واذا كنت تطمع في راحة دائمة ، فاقبل اذى نفسك ولا تؤذ احداً .

نیکو بدی که در نهاد بشرست ،
شادی وغمی که در قضا وقدرست ،
باچرخ مکن حواله کاندر ره عقل ؛
چرخ از تو هزار بار بیچاره ترست .

لا تعزون الى الفلك الخير والشر اللذين هما من غريزة البشر ، والفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر ، لان الفلك — من طريق العقل — اعجز منك الف مرة .

چون حاصل آدمی در این شورستان ،
جزخوردن غصّه نیست یا کندن جان ؛
خرّم دل آنکه از جهان بیرون شد ،
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان .

لما لم يكن ما يجتنيه الانسان في هذه الحياة ذات الفتن غير الألم وعذاب النفس ، فطوبى لمن خرج منها او لم يجئ اليها .

بنگر زصبا دامن گل چاك شده ،
بلبل زجمال گل طربناك شده ؛
در سایهٔ گل نشین که بسیار این گل ،
از خاك بر آمدست ودر خاك شده

انظر كيف تمزق جلباب الورد بهبوب الصبا ، وكيف طرب العندليب بجماله . اجلس في ظل الورد فطالما نبت هذا الورد في التراب وعاد اليه .

—٨٦—

امشب می جام یکمنی خواهم کرد ؛
خودرا به‌دوجام می غنی خواهم کرد ؛
اول سه‌طلاق عقل ودین‌خواهم گفت ،
پس دختر رزرا به زنی خواهم کرد .

سأشرب فی هذه اللیلة مدامة فی جام یستوعب « رطلاً » ، واکون غنیاً بجامین من الخمر ، وقبل کل شیء اطلّق عقلی ودینی ثلاثاً ثم انکح بنت الکرم .

—٨٧—

تا بتوانی خدمت رندان میکن ،
بنیاد نماز وروزه ویران میکن ،
بشنو سخن راست ز « خیام عمر » !
می‌میخور ، وره‌میزن ، واحسان‌میکن .

اخدم الندامی — اخوان الشّرب — ما استطعت ، واهدم ارکان الصلوة والصیام ، اسمع القول الصحیح من « عمر الخیام » اشرب الخمر ، واقطع الطرق ، واحسن الی الغیر .

توبه مکن از می اگرت می باشد ،
صد توبهٔ نادمانه درپی باشد ؛
گل جامه دران وبلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه روا کی باشد .

اذا کنت تملك خمراً فلا تتب من شربها ، ان لك متسعاً من الوقت لتتوب مائة مرة توبة الندم . صاح ! لقد تفتحت اکمام الورد وصاحت العنادل فهل تجوز التوبة فی مثل هذا الوقت ؟ .

—٨٩—

ای دل چو زمانه میکند غمناکت ،
ناگه برود زتن روان پاکت ،
برسبزه‌نشین وخوش بزی روزی‌چند ؛
زان پیش که سبزه برد مد از خاکت .

ایها القلب قد غمك الدهر ، وسیفارق جسدك روحك الطیب ، فاجلس علی العشب الاخضر وعش رغداً بضعة ایام قبل ان ینبت العشب من ترابك .

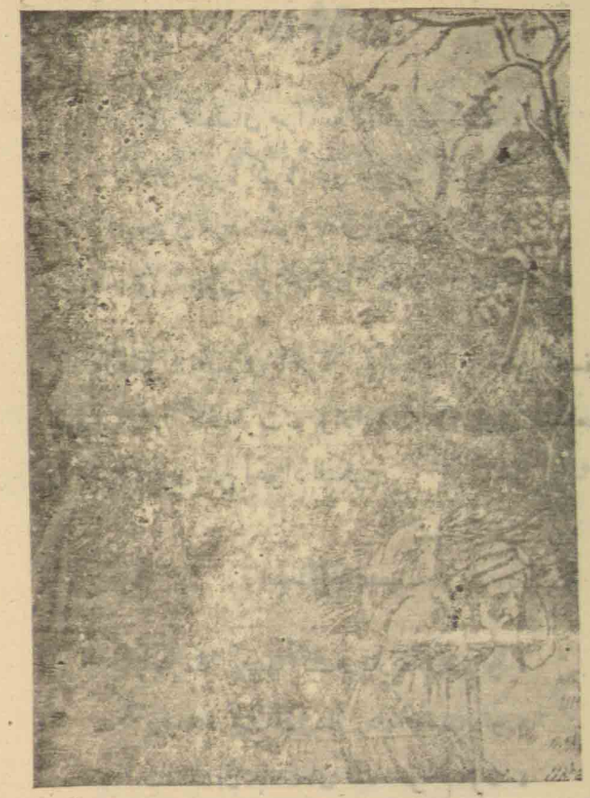

افسوس که نامهٔ جوانی طی شد ،
وین تازه بهار شادمانی طی شد ؛
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ! ندانم که کی آمد ، کی شد .

يا أسفا ! قد انطوى كتاب الشباب ، وانطوى ربيع السرور الغض . اواه ! لا ادرى متى جاء الشباب — ذلك الطائر الطروب — ومتى ذهب !؟

چون مرده شوم به باده شویید مرا ،
تلقین ز شراب وجام گویید مرا ؛
خواهید به روز حشر یابید مرا ،
از خاك در میکده جویید مرا ،

اغسلونی إن مت بالصهباء ، ولقنونی بالخمرة والجام ، واذا شئتم ان تجدونی یوم الحشر تحرونی فی تراب حانة الخمر

تا چند ز مسجد ونماز وروزه ؟
در میکدها مست شو ار دریوزه ؛
خیام ، بخور باده که این خاك ترا
گه جام کنند وگه سبو ، گه کوزه .

حتىمَ تتحدث عن المسجد والصلاة والصيام ، اسكر فى حانات الخمر ولو بالشحاذة ، يا خيام ! اشرب المدامة فسيصنعون من ترابك مرةً جاماً ، وطوراً دنّاً ، واخرى كوزاً .

— ۹۳ —

ای همنفسان مرا به می قوت کنید ،
وین چهرهٔ کهربا چو یاقوت کنید ؛
چون مرده شوم بهمی بشویید مرا ،
و ز چوب رزم تختهٔ تابوت کنید .

یارفقتی ! اقیتونی بالخمرة واجعلوا وجهی المصفر کالورس احمرَ کالیاقوت ، واذا مت فاغسلونی بالمدامة وانحتوا تابوتی من أعواد الکرم .

— ۹٤ —

آنم که پدید گشتم از قدرت تو ،
پرورده شدم بناز در نعمت تو ؛
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد ،
تا جرم مفست بیش یا رحمت تو .

انا ذلك الذی ظهرتُ الی عالم الوجود بقدرتك وربیت بدلال فی نعمتك ، سوف اکثر من الذنوب مائة عام لأعلم ایهما اعظم ذنوبی أم رحمتك ؟ .

— ۹۵ —

آنها که ز پیش رفته اند ای ساقی ،
در خاك غرور خفته اند ای ساقی ؛
روباده خور وحقیقت از من بشنو :
بادست هر آنچه گفته اند ای ساقی

ای ساقی المدام ! اولئك الذین رحلوا قبلنا قد ناموا فی تراب الغرور ، اذهب واشرب الخمر واسمع منی الحقیقة : هوآء کل ما قالوا .

— ۹٦ —

تا چند کنم عرضهٔ نادانیٔ خویش ،
بکرفت دل من از پریشانیٔ خویش ؟
زنّار مغانه بر میان خواهم بست ،
دانی زچه ؟ از ننك مسلمانی خویش .

الی متی اعرض جهالة نفسي ، ضاق قلبی من هذا الشنات . اريد ان اشد فی وسطی زنّاراً مجوسیة . أ تعلم لماذا ؟ من خزی اسلامی .

—٩٧—

افسوس که سرمایه زکف بیرون شد ،
وزدست اجل بسی جگرها خون شد ؛
کس نامد از آن جهان که پرسم ازوی ،
کاحوال مسافران عالم چون شد .

وا أسفاه ! فقد ذهب رأس المال من ايدينا ، وكم من اكباد صارت دامية من يد الموت ، لم يرجع أحد من الآخرة . لأسأله عن حال الذين سافروا من الدنيا اليها .

—٩٨—

ای چرخ ز گردش تو خو رسند نیم ،
آزادم کن که لایق بند نیم ؛
گر میل تو با بیخرد و نا اهلست ،
من نیز چنان اهل وخرد مند نیم .

ايها الفلك ! انا غير مسرور بدورانك ، أطلق سراحي فانی غير ثمين بان اقيّد وان كنت تميل الى الحمقى والذين ليسوا اهلاً للفضل . فانا ايضاً لست ذلك العاقل الكفء .

—٩٩—

آن قصر که جمشید در او جام گرفت ،
آهو بچه کرد وروبه آرام گرفت ؛
بهرام که گور میگرفتی همه عمر ،
دیدی که چه گونه گور بهرام گرفت ؟

ان القصر الذی كان « جمشيد » يتعاطى فيه الأقداح . قد ولدت فيه الظبية واطمأن فيه الثعلب . و « بهرام » الذی كان يصيد حمار الوحش طول عمره ، أرأيت كيف صاد القبر بهراماً ؟ .

—١٠٠—

از حادثهٔ جهان زانیده مترس ؛
وز هرچه رسد چونیست پاینده مترس ؛
این یکدمه عمرا غنیمت میدان ،
از رفته میندیش وز آینده مترس .

لاتخش من حادث الدنيا ومن كل مايصيبك منه لانه لايدوم ، انتهز هذا العمر القصير . ولا تفكر فيما مضى ولا تخف من الآتی !

هر چند که رنك وبوی زیباست مرا ،
چون لاله رخ وچو سرو بالاست مرا ،
معلوم نشدکه در طربخانهٔ خاك ؛
نقاش ازل بهر چه آراست مرا .

مهما كان لوني بديعاً . وعرفي ذكيّاً . ومحيّاي كالشقيق . وقامتي كالدانة ، لا اعرف لماذا زانني النقاش الأزليّ في هذه الارض دار السرور « ؟ » .

گل گفت : به ازلقای من رویی نیست ،
چندین ستم گلا بگر باری چیست ،
بلبل بزبان حال با او میگفت ؛
یك روز که خندید که سالی نگریست ؟

قال الزهر : لا وجه لانتظار من وجهي . يا عجباً لم يجود عليّ كل هذا الجود ـ عاصر الزهر ـ فاجابه البلبل بلسان الحال قائلاً : من ذا ضحك يوماً واحداً ولم يبك عاماً ؟!

رفتیم وزما زمانه آشفته بماند ،
با آنکی ز صد گهر یکی سفته بماند ؛
افسوس که صد هزار معنیٔ دقیق ،
از بیخردی خلق ناگفته بماند .

ذهبنا . وبقي الزمان بعدنا مضطرباً ولم تثقب الا جوهرة واحدة من مائة ، وا أسفا ! فقد بقيت مئآت الألوف من المعاني الدقيقة لم تذكر . حذراً من حمق الناس

مهتاب به نور دامن شب بشکافت ،
می خور که چنین دمی دگر نتوان یافت ؛
خوش باش و بر اندیش که مهتاب بسی
اندر سرخاك یك بیك خواهد یافت .

قد فلق القمر بنوره أهداب الليل ، فاشرب اذ ليس في الوسع ان تحضى بعدها بمثل هذه اللحظة ، طب نفساً فان القمر سيسطع كثيراً على حافة قبر كل واحد منا ،

— ١٠٥ —

بابادہ نشین کہ ملك محمود اینست ؛
وزچنك شنو ، کہ لحن داود اینست ؛
از آمدہ ورفتہ دگر یاد مکن ،
حالی خوش باش زآنکہ مقصود اینست .

عاشر الخمر ، فانها ملك محمود ، واسمع القيثارة فانها لحن داود ، لا تذكرنّ الآتی والماضی ، وطب نفساً فی ساعتك التی انت فيها ، فذلك هو المقصود .

— ١٠٦ —

این چرخ کہ با کسی نمیگوید راز ،
کشتہ بہ ستم ہزار محمود وایاز ،
می خور کہ بہ کس عمر دوبارہ ندہند ؛
ہر کس کہ شد از جہان نمی آید باز .

انهذا الفلك الذی لم يطلع احداً على اسراره . قدقتل الف «محمود وأياز» عدواً وعمداً . اشرب الصهباء ! انك لاتُعطَى العمر مرّتين . والذی يفارق الحياة لايعود اليها تارة اخرى .

— ١٠٧ —

کرمی نخوری طعنہ مزن مستانرا ،
کردست دہد توبہ کنم یزدانرا ؛
تو فخر بدین کنی کہ من می نخورم ،
صد کار کنی کہ می غلامست آنرا .

ان كنت لا تشرب الخمر . فلا تطعن فی السكارى ، لو اتيح لی لتبت الى الله ، انت تفتخر بانك لاتشرب الحميّا وانت تعمل مئات من الأعمال اشنع منها .

— ١٠٨ —

در سر مگذار ہیچ سودای محال ،
می خور ہمہ سال ساغر مالا مال ؛
با دختر رز نشین وعیشی میکن ،
دختر بحرام بہ زما در بحلال .

لا تضع فی رأسك حب المحال . واشرب الصهباء كل العام با كواب مترعة ، عش رغداً مع ابنة العنقود . فان لقاء الأبنة بحرام . خير من لقاء الأم بحلال .

— ۱۰۹ —

امروز که نوبت جوانیٔ منست ،
می نوشم از انکه کامرانیٔ منست ؛
عیبش مکنید اگرچه تلخست خوشت ،
تلخست از انکه زندگانیٔ منست .

فی هذا الیوم الذی هو عهد صِباى . اشرب الخمرة لأن فیها نیل مرامی ، لا تنتقصوها . فهی لذیذة علی مرارتها ، اجل ! هی مرّة لانها حیاتی .

— ۱۱۰ —

آمد سحری ندا ز میخانهٔ ما ،
کی رند خرابانیٔ دیوانهٔ ما ؛
برخیز که پر کنیم پیمانه زمی ،
زان پیش که پر کنند پیمانهٔ ما .

سمعت هاتفاً فی السحر من حانتنا یقول : ای یا أخا الشرب المفتون . قم لنملأ الکأس بالخمرة قبل ان یملأوا کأسنا — قبل ان تداهمنا المنیّة — .

— ۱۱۱ —

آن جسم پیاله بین بجان آبستن ،
همچون سمنی بارغوان آبستن ؛
نی نی غلطم که باده از غایت لطف ،
آبیست بآتش روان آبستن .

انظر الی الکأس فانها حبلی بالروح ، اوانها کیاسمین حبل بالأرجوان . لا ، لا ، فقد اخطأت القول . بل انها من شدة لطفها . ماء حیل بنار مائعة .

— ۱۱۲ —

در میکده جز بمی وضو نتوان کرد ،
وین نام کهزشت شد نکو نتوان کرد ؛
می ده که کنون پردهٔ مستوری ما ،
بدریده چنان شد که رفو نتوان کرد .

لا یمکن الوضوء فی الحانة الا بالمدامة ، وهذه السمعة التی تشوهت فلا یتیسر تحسینها ، عاطنیها فان ستار عفافنا قد تمزّق . حتی لقد استحال ترقیعه .

— ١١٣ —

از آمدنم نبود گردون را سود ،
وز رفتن من جمال وجاهش نفزود ؛
وز هیچ کسی نیز دوگوشم نشنود ،
کاین آمدن ورفتنم از بهرچه بود .

ماکان للکون نفع من مجیئ . ولم یزدد من ذهابی جماله وجاهه ، ولم تسمع اذناي ایضاً من احد عن الغایة من مجیئ وذهابی .

— ١١٤ —

بر خیز وبیا بتا برای دل ما ،
حل کن به جمال خویشتن مشکل ما ؛
یك کوزهٔ می بیار تانوش کنم ،
ز آن پیش که کوزه‌ها کنند از گل ما .

قم وتعال ایها الصنم . رعایة لقلبنا . وحلّ بجمالك مشکلنا ، هات کوزاً من الخمرة لنحسوها قبل ان یصنعوا اکوازاً من طینتنا .

— ١١٥ —

بس خون کسان که چرخ بیباك بریخت ،
بس گل که بر آمد ز کل وپاك بریخت ؛
بر حسن وشباب ای جوان غرّه شو ،
بس غنچهٔ ناشکفته بر خاك بریخت .

یاما هدر الفلك دماء الناس ، ویاما نبت الورد وتناثرت اوراقه علی الثری ، ایها الفتی ! لا تغتر بحسنك وشبابك . یاما تساقط الورد علی التراب قبل ان تتفتح اکمامه .

— ١١٦ —

تاباز شناختم من این پای زدست ،
این چرخ فرومایه مرا دست ببست ؛
افسوس که در حساب خواهند نهاد ،
عمری که مرا بی می ومعشوقه گذشت .

غلّ هذا الفلك النذل یدیّ . منذ صرت افرّق بین رجلی ویدی . واغمتاه ! فسیحسبون من عمری زماناً مرّ لی بغیر مدامة ومعشوقة .

— ١١٧ —

ابر آمد وباز برسر سبزه گریست ،
بی بادهٔ ارغوان نمیباید زیست ؛
امروز که این سبزه تماشا گه ماست ،
تا سبزهٔ خاك ما تماشا گه کیست .

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب ، فلا يجوز ان نعيش بدون مدامة ارجوانيّة . ان هذا العشب مسرح لانظارنا اليوم ، ياترى لمن سيصبح عشب ترابنا مسرحاً ؟ .

— ١١٨ —

از درس علوم جمله بگریزی به ،
واندر سر زلف یار آویزی به ؛
زان پیش که روزگار خونت ریزد ،
تو خون صراحی بقدح ریزی به .

الأحسن ان تهرب من درس العلوم كلها . وان تتعلق بطرّة الحبيب ، وقبل ان يسفح الدهر دمك . اسفح دم الأبريق فى القدح .

— ١١٩ —

چون عهده نمی شود کسی فردارا ،
خوش دار دمی این دل پرسو دارا ؛
می نوش به ماهتاب ای ماه که ماه ،
بسیار بتابد ونیابد مارا .

لما لم يكن الغد مضموناً . فافرح قلبك المشغوف واشرب الخمر على ضوء القمر ، لأن القمر يا ايها القمر ! سيطلع كثيراً ولا يجدنا .

— ١٢٠ —

پیش از من وتو لیل ونهاری بودست ،
کردنده فلك زبهر کاری بودست ؛
زنهار قدم بخاك آهسته نهی ،
کآن مردمك چشم نگاری بودست .

كان قبلى وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور لأجل غاية ، احذر وخفف الوطء على التراب فانه كان حدقة عين لحبيب ! .

— ١٢١ —

ای چرخ فلك خرابی از کینهٔ تست ،
بیداد گری عادت دیرینهٔ تست ؛
ار خاك اگر سینهٔ تو بشکافند ،
بس گوهر قیمتی که در سینهٔ تست .

ایها الفلك الدوّار ! الخراب من اثر حقدك والظلم عادتك القديمة ، ايتها الأرض ! ان فتحوا صدرك . وجدوا فيه كثيراً من الجواهر الثمينة .

— ١٢٢ —

من باده خورم ولیك مستی نکنم ،
الا بقدح دراز دستی نکنم ؛
دانی غرضم زمی پرستی چه بود ؟
تا همچو تو خویشتن پرستی نکنم

أنا اشرب المدامة . ولكنى لا اعربد ، والى غير الكاس لا اطيل يدى ، أتعلم ما هو غرضي من عبادة الخمر ؟ ذلك لئلا اعبد نفسي مثلك .

— ١٢٣ —

حکمی که از و محال باشد پرهیز ،
فرموده از و کناره گیر وبگریز ،
من مانده میان امر و نهیش عاجز ،
این قصد چنان بود که کج دار ومریز .

امرنى: ان اتجنّب وافرّ من الأحكام التى لا محيص لى منها وقد بقيت عاجزاً محتاراً بين امره ونهيه ، فهو كمن يقول اقلب الكاس ولا تسكب مافيها !.

— ١٢٤ —

این کوزه چو من عاشق زاری بودست ،
در بند سر زلف نگاری بودست ؛
این دسته که در گردن او میبینی ،
دستیست که در گردن یاری بودست .

كان هذا الكوز مثلى صباً كئيباً مفتوناً بذرع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التى تراها فى جيده . كانت يداً تعتنق احدى الحسان .

— ۱۲۵ —

برخیز و مخور غم جهان گذران ،
خوش باش ودمی به شادمانی گذران ؛
در طبع جهان اگر وفایی بودی ،
نوبت بتو خود نیامدی از دگران .

انهض ! ولا تحزن علی الدنیا الفانیة . وطب نفساً واقض وقتك بسرور ، لو کان الوفاء من شیمة الدنیا . لما انتقلت الیك من الآخرین .

— ۱۲۶ —

دارنده چو ترکیب طبائع آراست ،
از بهرچه اوفکندش اندر کم وکاست ؛
کرز آنکه بد آمد صورعیب کراست ،
ورنیك آمد خرابی ازبهرچه خواست .

لما رکّب الخالق الطبائع لِماذا جعلها بین النقص والزیادة ؟ فاذا جاءت ردیئة . فالعیب علیه . واذا جاءت جیدة فلماذا یخربها ؟ !

— ۱۲۷ —

آنها که بفکرت درّ معنی سفتند ،
در ذات خداوند سخنها کفتند ؛
سر رشتهٔ أسرار ندانست کسی ،
اول زنخی زدند وآخر خفتند .

اولئك الذین ثقبوا درر المعانی بافکارهم تکلموا کثیراً فی ذات الباری . لم یعرف احد منهم مبدأ الأسرار ، انما هرفوا اولاً وناموا اخیراً .

— ۱۲۸ —

آغاز روان گشتن این زرّین طاس ،
وانجام خرابیٔ چنین نیك أساس ؛
دانسته نمی شود بمعیار عقول ،
سنجیده نمی شود بمقیاس قیاس .

لایعرف بمعیار العقل . ولایقاس بالمقاییس . أمبدأ دوران هذا الکأس ـ الفلك ـ المذهّب ومنتهی خراب هذا الأساس الجیّد .

— ١٢٩ —

ما بیم خریدار مئ کهنه ونو ،
وانگاه فروشندهٔ جنت بدوجو ؛
گفتی که پس از مرك کجا خواهم رفت ،
می بیش من آر وهر کجا خواهی رو .

انا نحن نشترى كلتا المدامتين المعتقة والحديدة ، ونحن الذين نبيع الفردوس بشعيرتين ، قلت لى : الى اين اذهب بعد الموت ، هات لى الصهباء واذهب الى حيث تشاء .

— ١٣٠ —

این عقل که در راه سعادت پوید ،
روزی صد بار خود ترا میگوید ؛
در یاب تو این یکدمه فرصت که نهٔ ،
آن تره که بدروند وریگر رویند .

هذا العقل الذى يسير فى طريق السعادة ، يقول لك كل يوم مائة مرة : انتهز هذه الفرصة . فلست ذلك «الكراث» الذى اذا حصدوه نبت مرة اخرى .

از جرم حضیض خاك تا اوج زحل ،
کردم همه مشکلات گردون را حل ؛
بیرون جستم زبند هر مکر وحیل ،
هر بند کشاده شد مگر بند اجل .

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الارض وزحل ، ونجوت من عقدة كل مكر وحيلة ، وقد انحلت كل عقدة فى الحياة . سوى عقدة الأجل .

— ١٣٢ —

ای گل تو بروی دلربا میمانی ،
ای مل تو بلعل جانفزا میمانی ؛
ای بخت ستیزه کار هردم بامن ،
بیگانه توی وآشنا میمانی .

یاورد ! انت تحاکی محیا الحسناء ، ویا خمر ! انت کیاقوتة تبهج الروح ، ویا أیتها الحظ المعاکس ، انت فی کل وقت خصم لی . وتظهر بمظهر الصدیق .

— ١٣٣ —

پیرانه سرم عشق تو در دام کشید ،
ورنه ز کجا دست من وجام نبید ؛
آن توبه که عقل داد جانان بشکست .
وآن جامه که صبر دوخت ایام درید .

اصطادنی عشقك فی شرکه ، ورأسي مشتعل بالشیب والاّ فمن انا وکأس الحمیا ، لقد عبث الحبیب بالتوبة التی وهبنی ایاها العقل ، ومزقت الأیام . ذلك القمیص الذی خاطه الصبر .

— ١٣٤ —

صیّاد ازل که دا نه در دام نهاد ،
صیدی بگرفت وآدمش نام نهاد ؛
هرنیك وبدی که میرود در عالم ،
او میکند وبهانه بر عام نهاد .

وضع صیادالأزل حبّة فی الشرك واصطاد . وسمّی صیده آدم ، انه هو الذی یعمل کل قبیح وحسن فی العالم . ویحمل الناس تبعة ذلك .

— ١٣٥ —

فردا علم نفاق طی خواهم کرد ،
باموی سفید قصد می خواهم کرد ؛
پیمانهٔ عمر من به هفتاد رسید ،
این دم نکنم نشاط ، کی خواهم کرد .

سأطوی غداً علم النفاق . وسأقصد الخمرة ورأسي مشتعل بالشیب ، بلغت من العمر سبعین عاماً ، فاذا لم انشط الآن للطرب ، فمتی اعمل ذلك ؟ .

— ۱۳۶ —

هر ذره که در روی زمینی بودست ،
خورشید رخی زهره جبینی بودست ؛
کز از رخ آستین بآزرم فشان ،
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست .

ان کل ذرة علی وجه الثری ، هی وجه حسناء زهراء الجبین ، یاهذا انفض الغبار من اردانك بلطف ، فانه کان ایضاً وجه حسناء اخری .

— ۱۳۷ —

برجه ، برجه ، زجامه خواب ای ساقی ،
درده ، درده ، شراب ناب ای ساقی ؛
زآن پیش که از کاسهٔ سر کوزه کنند ،
از کوزه به کاسه کن شراب ، ای ساقی

یاساقی ! قم من فراش النوم واعطنی خمرة صافیة وقبل ان یصنعوا من جماجمنا اکوازاً اسکب الخمرة من الکوز فی الکأس واسقنا یاساقی !

— ۱۳۸ —

تا ظن نبری که از جهان میترسم ،
وزمردن وزرفتن جان میترسم ؛
مردن چوحقیقتیست زان باکم نیست ،
چون نیك زیستم از ان میترسم .

لاتظنن اننی اخاف الکائنات او اخشی الموت وفراق الروح ، الموت حقیقة فلا أعبأ به . ولکننی اخشی ان لا اعیش سعیداً .

— ۱۳۹ —

عالم همه محنتست وایام غم است ،
کردون همه آفتست وگیتی ستم است ؛
فی الجمله ، چو درکار جهان مینگرم ،
آسوده کسی نیست وگرهست کم است .

العالم کله محنة ، والأیام غم ، والفلك کله آفة ، والدنیا ظلم ، انی انظر الی اعمال الحیاة . فلا اجد فیها مرتاحاً سعیداً واذا وجد . فنزر قلیل .

— ١٤٠ —

طبعم به نماز وروزه چون مایل شد ،
گفتم که مراد کلیم حاصل شد ؛
افسوس که آن وضوء به گوزی بشکست ،
وین روزه بنیم جرعه می باطل شد .

عندما مال طبعی الی الصلاة والصوم . قلت لنفسي لقد حصل مرادی ، لکن أسفاً لقد بطل ذلك الوضوء بضرطة وبطل الصوم بنصف جرعة من الخمر .

— ١٤١ —

خوش باش که عالم گذران خواهد بود ،
جان در پی تن نعره زنان خواهد بود ؛
این کاسهٔ سرها که تو بینی ، فردا ،
زیر لگد کوزه گران خواهد بود .

اسعد ! فان الدنیا ستنقضي وسوف تنوح الروح خلف الجسد ، وهذه الجماجم التی تراها الآن . ستطأها أقدام الکوازین غداً .

— ١٤٢ —

چندین غم مال وحسرت دنیا چیست ،
هرگز دیدی کسی که جاوید بزیست ؛
این یك دو نفس در تن تو عاریتیست ،
با عاریتی عاریتی باید زیست .

لِمَ هذا الغم من أجل المال و لِمَ هذه الحسرات من أجل الدنیا . أرأیت أحداً خلدت له الحیاة ! هذه انفاسك فی جسمك عاریة . فعش مع الحیاة العاریة کالعاریة .

— ١٤٣ —

گاویست در آسمان ونامش پروین ،
یك گاو دگر نهفته در زیر زمین ؛
چشم خردت گشای کز اهل یقین ،
زیر وزبر دو گاو چندین خربین .

ثور فی السماء واسمه « الثریا » وثور آخر مخفی تحت الأرض ، فافتح بصیرة عقلك ان کنت من اهل الیقین ، وانظر الی مابین الثورین من الحمیر .

—١٤٤—

ساقی ، قدحی که کار عالم نفسیست ،
کرشادی ازویك نفس آن نیز بسیست ؛
خوش باش بهرچه پیشت آید که جهان ،
هرگز نشود چنانکه دلخواه کسیست .

أیها الساقی ! عاملنی کأساً فالعالم « نفس » . وحسب الانسان من السرور نفس واحد أیضاً ، طب نفساً من کل ماتلاقیه فی الحیاة ، لأن الحیاة لن تکون وفق رغبة أحد .

—١٤٥—

آبادیٔ میخانه زمی خوردن ماست ،
خون دو هزار توبه در گردن ماست ؛
گرمن نکنم گناه رحمت چه کند ،
آرایش رحمت از گنه کردن ماست .

تعمرُ الحانة بشربنا الخمرة ، وفی اعناقنا دم الفی توبة . انا ان لم اذنب . فما تصنع الرحمة ؟ انما الرحمة تزدان بآثامنا .

—١٤٦—

هرگه که طلوع صبح ازرق باشد ،
باید که بکف جام مروّق باشد ؛
گویند بافواه که می تلخ بود ،
باید به همه حال که می حق باشد .

کلما ینفلق الصباح . یجب ان یکون فی الکف کأس خمرة مروّقة ، یقولون ان الخمرة مُرّة فی الفم ، فاذاً علی کل حال یجب ان تکون الخمرة هی الحق .

—١٤٧—

آنان که در آمدند ودر جوش شدند ،
آشفتهٔ ناز وطرب ونوش شدند ؛
خوردند پیالهٔ ومدهوش شدند ،
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند .

اولئك الذین ظهروا الی الوجود وفاروا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال ، وقد حسوا کأساً ودهشوا واحتضن بعضهم بعضاً فی نوم العدم .

می‌خور که بزیر گل بسي خواهی خفت ،
بی مونس وبی حریف وبی همدم وجفت ؛
زنهار به کس مگو تواین راز نهفت ،
هر لاله که پژمرده نخواهد بشکفت .

اشرب الحميّا انك سترقد طويلا تحت الثرى حيث لا انيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج ، احذر لا تفش هذا السر لأحد : الوردة الذابلة لا تتفتح اى ـ لا يعود اليها زهوها وروتقها ـ .

-١٤٩-

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد ،
وزبهر نشست آشیانی دارد ؛
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی ،
کوشاد بزی که خوش جهانی دارد .

من كان يملك من دنياه نصف رغيف ، وعشاً حقيراً لسكناه ، لايكون خادماً ولا مخدوماً ، فليعش سعيداً فان عيشه رغيد .

زآن پیش که از زمانه نانی بخوریم ،
با یکدگر امروز شرابی بخوریم ؛
کاین چرخ فلك به وقت رفتن ما ،
چندان ندهد امان که آبی بخوریم .

قبل ان يصيبنا من الزمان التواء ، تعالوا نشرب الخمرة معاً ، فان هذا الفلك الدوار عند ارتحالنا لايمهلنا ان نشرب جرعة من الماء .

ساقی گل وسبزه بس طربناك شدست ،
درياب كه هفتهٔ دگر خاك شدست ؛
می نوش وگلی بچين كه تا در نگری ،
گل خاك شده است وسبزه خاشاك شدست

ايها الساقی ! ان الورد والعشب فی طرب كثير ، انتبه فسيكونان ترابا بعد اسبوع ، اشرب الصهباء واقطف الورد : ففی طرفة عين يستحيل الورد ترابا والعشب غثاء أحوى

چندين غم بيهوده مخور شاد بزی ،
واندر ره بيداد تو باداد بزی ؛
چون آخر كار اين جهان نيستی است ،
انگار كه نيستی وآزاد بزی .

لا تحزن فالحزن عبث ، وعش فرحاً ، وفی طريق الظلم كن عادلاً ، مادامت نهاية الحياة هی العدم . فافرض انك لم تكن . وعش حراً .

اين يك دوسه روزه نوبت عمر گذشت ،
چون آب بجو ببار وچون باد بدشت ؛
هركز غم دو روزه مرا ياد نكشت ،
روزی كه نيامدست وروزی كه گذشت .

ذهبت ايام العمر القليلة كالماء فی الوادی او الريح فی البيداء . انا لا أغتم ليومين من الأيام . اليوم الذی لم يأت واليوم الذی مضی .

نشرنا فی هذا الكتاب ١٥٣ رباعية مع ترجمتها وقد اعتمدنا نسخة الدكتور فردريخ روزن . ونسخة الأديب حسين دانش وقد عرضنا الترجمة على علامة العراق الاستاذ فهمی بك المدرس الذی يعد فی طليعة المتوغلين فی الأدب الفارسي . فوافق على الترجمة واستحسنها .

تم بحمد الله وعونه

فهرس الكتاب

القسم الاول

الصفحة — عصره . سيرته . فلسفته . ادبه

١ اهداء الكتاب . المقدمة . كلمة فى دمشق . مدينة الأحزان
٢ بى بى جان
٤ اول عهد المؤلف بالخيام . اسطورته

* * *

من هو عمر الخيام ؟

٧ المؤرخون النظامى
٨ البيهقي
١٠ خاقانى . الرازى
١١ الشهرزورى
١٣ ابن الأثير
١٤ القفطى
١٥ القزوينى
١٦ رشيد الدين
١٧ الأبرقوهى
١٨ حمدالله المستوفى
١٩ خواندمير
٢١ زوكوفسكى

* * * *

تحقيق ما جاء فى هذه الوثائق

٢٤ الرد على رواية البيهقي
٢٥ الرد على رواية ميرخونده
٢٦ الرد على رواية زكريا بن محمد ابن محمود القزوينى
٢٦ الرد على رواية زوكوفسكى

الصفحة

٢٧ الرباعيات فى اللغات الأجنبية
٢٧_٣٠ المستشرقون
٣١ الرباعيات فى اللغات العربية البستانى . اللبنانى
٣٢ السباعى المصرى
٣٣ محمد الهاشمى البغدادى
٣٤ الفيلسوف الزهاوى العراقى
٣٥ احمد رامى المصرى

الصفحة

الرباعيات فى اللغة التركية :
٣٥_٣٦ المعلم فيضي . عصمت . رضا توفيق . حسين دانش . رفعت احمد
الرباعيات فى اللغة العبرية :
٣٧_٤٠ المحامى سليم اسحق . الأديب عزرا حداد

* * *

عصر الخيام

الصفحة

٤١ الوضع السياسى
٤٣ ظهور الدولة السلجوقية
٤٤ الحروب الصليبية
٤٦ الاسماعيلية ـ الباطنية
٤٦ القداح وقرمط
٤٩ عقائدهم
٥١ مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية
٥٣ مبادى الباطنية الشائعة فى عصر الخيام ـ دار الحكمة
٥٤ تعاليم دار الحكمة . المؤسس الثانى

الصفحة

٥٦ تعاليم ابن الصباح
٥٧ مراتب الجمعية
٥٩ الحشيشة
٦٠ النتيجة
٦١ عصره العلمى ـ المدارس
٦٢ المدارس النظامية
٦٣ مقاومة علماء الاسلام للباطنية
٦٤ الخلاصة
٦٥ روح هذا العصر
٧٥ شعراء عصره . الأبيوردى . صرّدر
٧٦ الطغرائى . الباخرزى
٧٧ معاصروه من شعراء الفرس . مسعود سعد سليمان . عثمان مختارى
٧٨ مجدود السنائى . رشدى سمرقندى . اللامعى الدهستانى . برهانى
٧٩ زعماء الحركة الفكرية فى عصره . الغزالى
٨٠ الشهرستانى
٨١ الشيخ ابو اسحق
٨٢ امام الحرمين

***

حياته وسيرته

الصفحة

٨٣ مولده
٨٤ اسمه ولقبه وكنيته
٨٥ نسبه وعائلته
٨٦ وطنه
٨٩ اسفاره
٩١ شهرته
٩٢ مزاجه
٩٣ مواهبه . اتهامه بالزندقة

ادبه وعلمه

الصفحة

٩٦ رباعياته
٩٨ عدد الرباعيات
١٠٤ الخيام وشعر آء الفرس
١٠٥ شعره العربى
١٠٧ علومه
١١١ مؤلفاته

***

فلسفته

الصفحة

١١٨ مصادر فلسفته
١١٩ الفلسفة اليونانية
١٢٠ رسائل اخوان الصفا
١٢٢ ابن سينا
١٢٣ الباطنية

***

موضوع فلسفته

الصفحة

١٢٩ المادة والزمان
١٣٠ الآله
١٣٣ الجبر
١٣٧ التناسخ
١٣٩ البعث . الروح
١٤٢ الدنيا
١٤٣ تكريم الجسم بعد الموت

مذهبه الفلسفى

الصفحة		الصفحة	
١٤٩	اللاّ أدريه	١٥٢	التشاؤم

* * *

نظراؤه

الصفحة		الصفحة	
١٥٧	ابن الشبلى البغدادى	١٦٩	اخذهما بالتقية
١٦٠	ابو العلاء المعرى	١٧١	التناسخ
١٦١	ولادتهما ووفاتهما	١٧٤	تشاؤمهما
١٦٢	اتهامهما بالزندقة	١٧٨	الخمرة ـ المنية
١٦٤	اعتقادهما بالجبر	١٨٢	مصير الجسم بعد الموت
١٦٧	البعث بعد الموت		

* * *

القسم الثانى

رباعياته

الصفحة

١٨٦–٢٦٥ وهى ١٥٣ رباعية مع الترجمة

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢	واخوانها	واخوتها
١١	٢	اظلم	مظالم
١١	٤	خرى	اخرى
٣٨	١٣	ينى	من بنى
٤٣	١٦	حاوان	حلوان
٤٤	٧	طالب	طلب
٤٦	١٠	يقال	قال
٤٩	٥	بقطع من	بقطع يد من
٦٣	٧	وولاتهم	ودلائلهم
٦٣	٩	اشهر	شهر
٦٦	١	تحول	يحول
٦٧	١٤	يعينه	يعنيه
٧٣	١٠	فتا كا	الفتاك
٨١	٢	ابن السمعان	ابن السمعانى
٨٥	١٠	طناب	اطناب
٨٦	٩	يؤديون	يؤيدون
٨٧	٦	البياضه	البياض
٩٦	١٩	كانت منزلة	كانت له منزلة
١٠١	٩	عريان	عريانا

کتابخانه
مجلس شورای ملی

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٠٤	١٠	غاية	عناية
١٠٨	٧	ابو المعشر	ابو معشر
١١٠	٣	لزبدة	زبدة
١١٠	٥	القديم	التقديم
١١٠	١٦	رأيه	رأيته
١١٠	١٧	سراء	برىٔ
١١٣	١٦	يشبهوه	يشبهونه
١١٧	٨	يوصمونه	يصمونه
١١٨	١٥	بطليتموس	بطليموس
١١٩	١	والرواقين	والرواقيين
١٢٠	٤	وهذا	وهذه
١٢٠	٧	واوائهم	وآراؤهم
١٢٥	٦	القود	القول
٣	١٢	لا يناقض	فلا يناقض
١٣٨	٩	ضلفاً	ظالفاً
١٦٨	١٨	والايدى	ولا يدى
١٧٠	٢٠	بزملائهم وانسبائهم	بزملائهما وانسبائهما
١٨١	١٤	طلق	طلقاً
١٨٤	٥	الشيخين	الشيخان
٢٠٩	٥	اتباهى	اباهى